رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (2285) السنة التاسعة - السبت (22) تشرين الاول 2011

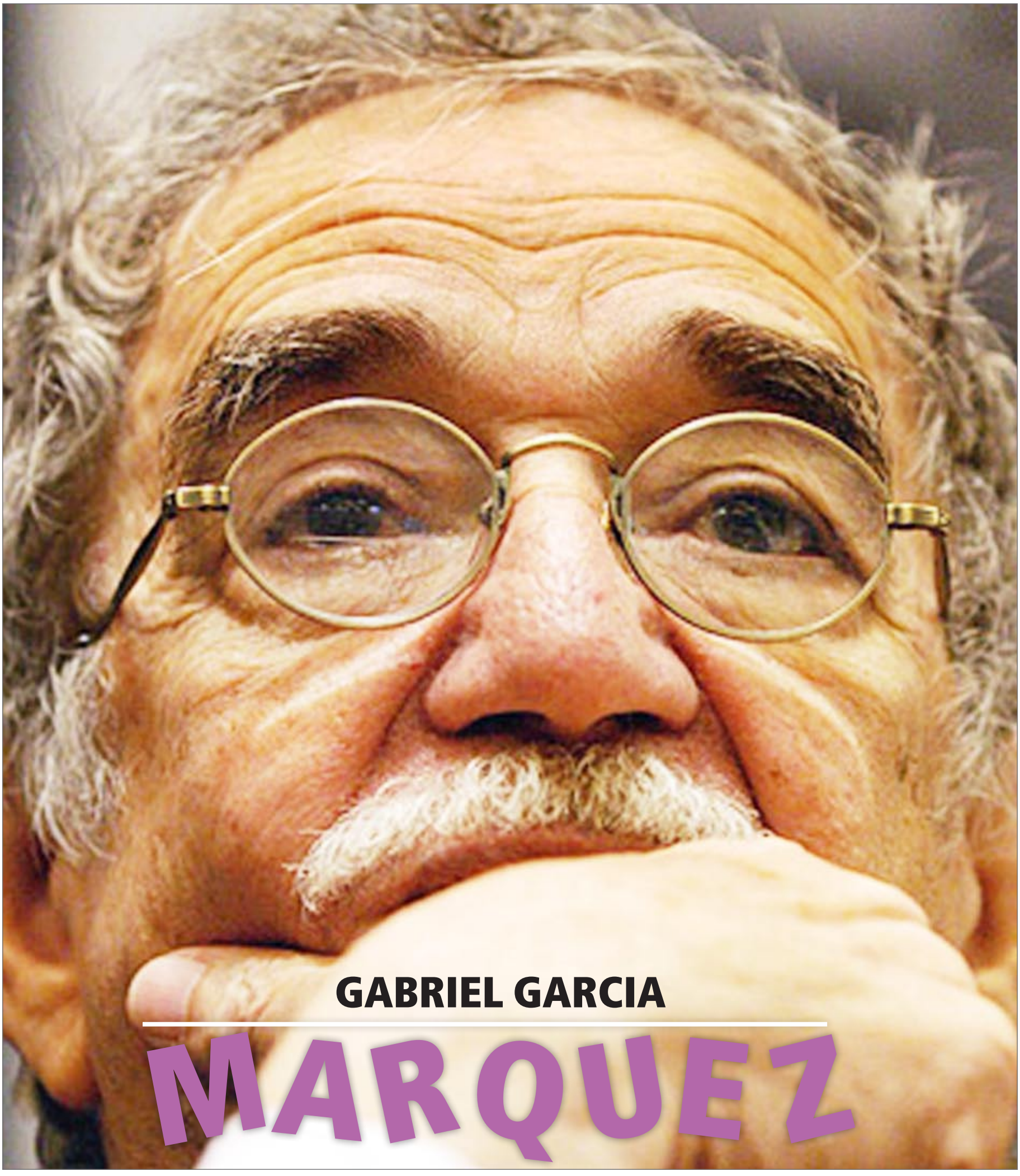

GABRIEL GARCIA

MARQUEZ

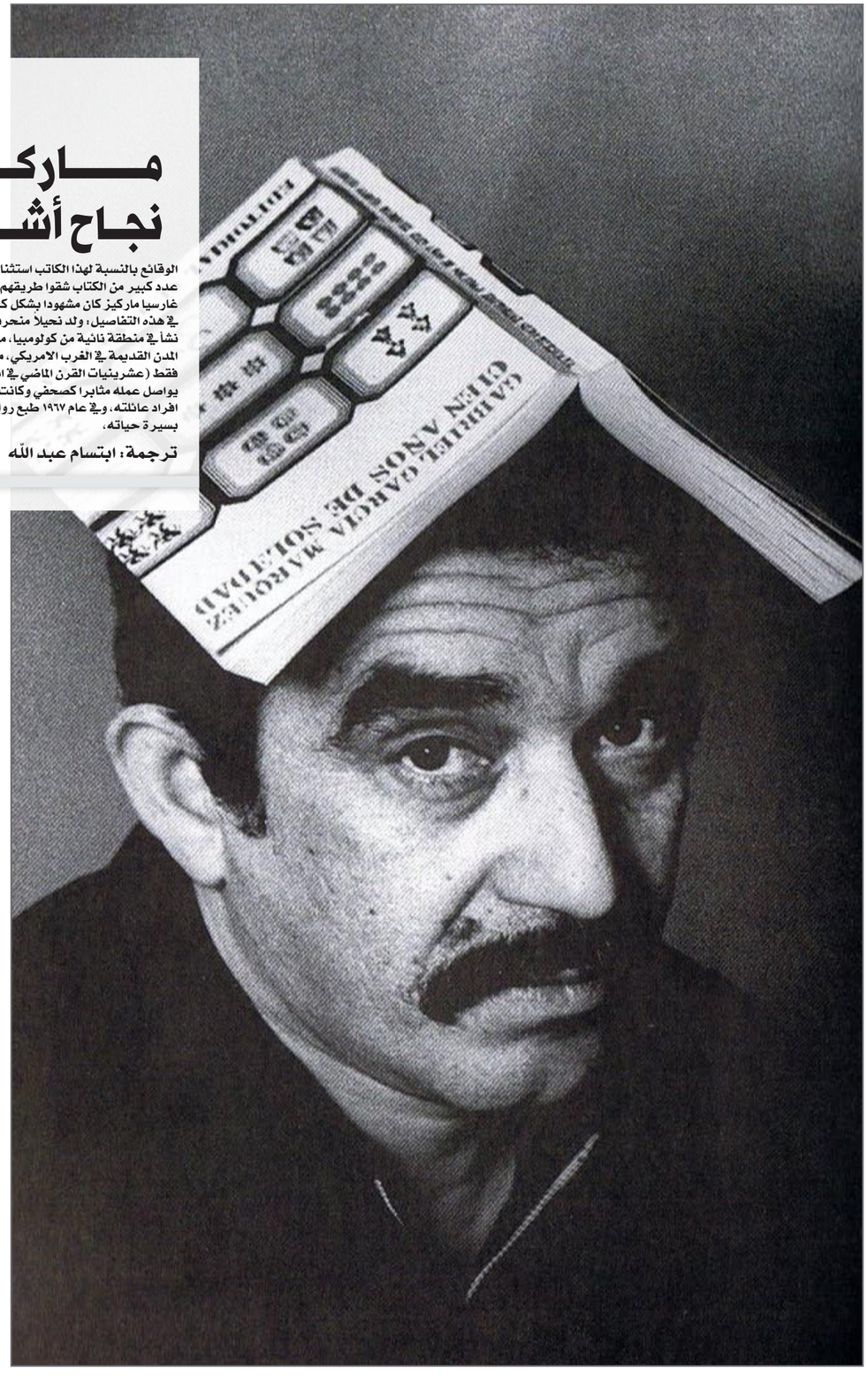

ماركيز نجاح أشبه بالسحر

الوقائع بالنسبة لهذا الكاتب استثنائية بشكل غير اعتيادي ولا تصدق، عدد كبير من الكتاب شقوا طريقهم من اصل متواضع ولكن انجاز غابرييل غارسيا ماركيز كان مشهودا بشكل كبير لم يتحقق لغيره من قبل، لنتمعن في هذه التفاصيل؛ ولد نحيلاً منحرف الصحة، اقرب ما يكون الى يتيم، نشأ في منطقة نائية من كولومبيا، مدينة صغيرة ضحلة اقرب ما تكون الى المدن القديمة في الغرب الامريكي، مؤلفة من عشرة صفوف من البنايات فقط (عشرينيات القرن الماضي في امريكا اللاتينية) وعندما بلغ الاربعين يواصل عمله مثابرا كصحفي وكانت لا اهمية له وغير معروف الا وسط افراد عائلته، وفي عام ١٩٦٧ طبع رواية غريبة عن بلدته شيء اشبه بسيرة حياته،

ترجمة: ابتسام عبد الله

واشبه بالتاريخية واشبه بالخيالية: مائة عام من العزلة وتباع ملايين النسخ من الرواية ثم ملايين اخرى من المزيد من الملايين وفي خلال اسابيع او بضعة اشهر، يحقق شهرة عالمية.

وسرعان ما يصبح غنيا، يكتب المزيد من الروايات التي تحقق اعلى المبيعات خريف البطريرك، يوميات موت معلن، حب في زمن الكوليرا، ويعرف باسلوب جديد، لم يكن اول من ابتدعه، رؤساء وسياسيون يتودون اليه ويبغون صداقته، ويصبح صديقا مقربا من كاسترو ولكنه ايضا يرفع الكلفة مع بيل كلينتون ومع ذلك وبالرغم من ثرائه وشهرته لم يفقد ابدا فطرته السليمة، عندما فاز بالنوبل عام ١٩٨٢ رنت ابواق سيارات الاجرة الكولومبية بشدة وجنون تحية له، مؤمنين بأن جائزة لكاتبهم المحبوب «غابو» هي لهم ايضا.

الحكاية هذه اشبه بالخيالية، اكثر سحرا من الحقيقة وقد كتب جيرالد مارتن سيرة جديدة عن حياة ماكيز في كتاب ضخم ويكون الروائي الكولومبي بذلك الوحيد من بين اقرانه في الربع الاخير من القرن الماضي، يضعه «مارتن» في مرتبة واحدة مع كافكاو بروست وجيمس جويس اللذين كتب عنهما مسبقا ان انجاز ماركيز قد تجاوز الفن والابداع، فقد اصبح بطلا في الحكاية التي ما تزال مستمرة كيف ان الغرب ارغم على تغيير نظرته الى الشعوب التي كانت من قبل مستعمرة.

لقد لعب الحظ دوره، الحظ لم يكن سيقابله مطلقا لو لم يحقق فورته الاولى عبر مجلة فوغ العالمية، في الفترة من ١٩٦٤-١٩٧٠ التي كتبت عن الكتاب المتميزين في امريكا اللاتينية: خوليو كوتاز (الارجنتين)، وكارلوس فوينتس (مكسيكو) وماريو فاغاس يوسا (بيرو)

الروايات التي قدمت من الجنوب كانت ساخنة ولمرحلة ما من الزمن في فترة بقاء اؤلئك الكتاب في الخارج (المنفى) كانت صداقة طيبة تربط بينهم، وهم ينتقلون ما بين اسبانيا وفرنسا، ولم يمر الا وقت قصير حتى بدأ ماركيز يتقدم على زملائه.

وقد فرقت السياسة فيما بعد بين ماركيز وفارغاس يوسا فالاخير انتقل من اليسار الى الوسط ثم ابعد وبقي (غابو) قريبا من الحزب الشيوعي برغم عدم انتمائه اليه رسميا، والمكانة الثقافية التي وصل اليها ماركيز لم تجعله الناطق القوي باسم كولوبيا فقط بل ايضا لامريكا اللاتينية بأكملها وربما ايضا العالم الثالث، فالعالم يصغي اليه وما زال كذلك.

عن الصنداي تايمز

كدمة ماركيز..

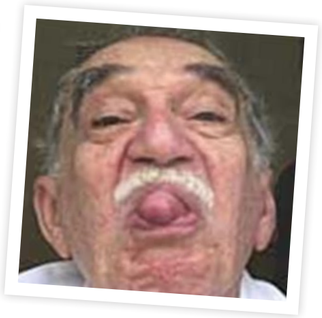

نعوم كوهين
ترجمة: نجاح الجبيلي

كان العداء بين الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز والكاتب البيروفي ماريو فارغاس يوسا، وكانا صديقين يوماً ما، يمتلك كل عناصر الكلاسيك الأدبي: اتهامات بالخيانة، الغيرة والزنا، ومواجهة عنيفة قبل ٣١ سنة مضت حين تحولت الأمور إلى دموية.

غير أن ما كان ينقصها هو الدليل الوثائقي. وكل ذلك تغير هذا الشهر مع نشر صورتين شخصيتين بالأبيض والأسود التقطتا في يوم الحب عام ١٩٧٦ في مكسيكو سيتي وفيها يظهر السيد غارسيا ماركيز و حول عينيه كدمة – وبدا مبتسما وجديا – بعد يومين من لكمة السيد فارغاس يوسا ويقال أن الكاتبين لم يتكلم أحدهما مع الأخر منذ الشجار. استعملت الصحيفة المكسيكية " لا خورنادا" صورة غارسيا ماركيز المبتسم كغلاف في عددها المخصص بالذكرى الثمانين لميلاده في ٦ آذار. يقول المصور الفوتوغرافي "رودريغو مايو" الذي التقط كلا الصورتين والذي أجرى حالياً مقابلات في محطات الإذاعة في الأرجنتين وكولومبيا وتشيلي بأن الصحف الأخرى في أميركا اللاتينية اهتمت بالخبر.

يقول السيد "مويا" في اتصال تلفوني بالاسبانية من "كيورونافاكا" في المكسيك حيث يعيش هناك: " إنّ الأمر غريباً نوعاً ما، عندي الآلاف من الصور الممتازة لكن هاتين الصورتين نالتا اهتماماً كبيراً بسبب موضوعهما". حاز السيد غارسيا ماركيز جائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٢ تقديراً لرائعته " مائة عام من العزلة".

قال السيد مويا أن صديقه السيد غارسيا ماركيز طلب منه التقاط صورته بعين كدماء وعلى الرغم من أن الصورتين لم تنشرا إلا أن السيد مويا كان قد طبعهما منذ زمن طويل لأحد أصدقائه الذي عرضهما في بيته. رأى أحد الصحفيين الصورة الفوتوغرافية هناك وطلب السماح لاستعمالها في مجلته لكنهما لم يستطيعا الاتفاق على شروط كما يقول السيد مويا.

ويضيف: " لكن ظهرت إشاعة تقول أن هذه الصورة موجودة و تسلمت اتصالا من صحيفة " لا خورنادا" التي عملت فيها أحيانا وكانت لديّ علاقة جيدة معها وقررت أن الوقت الكافي قد تجاوز".

إن ظهور الصورتين – بعد "ثلاثين سنة من العزلة" – كما قال أحد المعلقين الفرنسيين- أعطى اهتماما متجدداً بالأحداث التي أدت إلى الملاكمة المشهورة. توضع المواجهة الأدبية بين (ماريو فارغاس يوسا) و(غابرييل غارسيا ماركيز) ضمن أشهر المعارك من بينها لليليان هيلمان مع ماري مكارثي، فلاديمير نابوكوف مع أدموند ويلسون، نورمان ميللر مع غور فيدال.(حين تحولت المواجهة بين السيدين ميللر وفيدال إلى جسدية إن لم تكن دموية، يقال أن السيد فيدال أجاب وهو مطروح أرضاً " الكلمات تخون نورمان ميللر الآن مرة أخرى". يقول بابلو أسبينوزا المحرر الثقافي في صحيفة " لا خورنادا" أن الصحيفة طلبت من السيد مويا كتابة مقالة مرفقة مع الصورتين لأن " هذه القصة كانت معروفة جداً لكل فرد، إلا أنهم لم يعرفوا تفاصيلها".

وفي مقالته يضع السيد مويا المشهد التالي:

صالة سينما في مكسيكو سيتي تعج بالجمهور الذي كان يقصد العرض الأول لفيلم عن ناس ناجين من تحطم طائرة في الأنديز يتحولون إلى أكلة لحوم البشر. وفي إحدى الخانات اندفع السيد فارغاس يوسا نحو السيد غارسيا ماركيز الذي حاول أن يعانقه ببراءة من دون سوء نية إلا أن السيد فارغاس يوسا لكمه فتدفق الدم من السيد ماركيز في كل مكان.

وأوجز بعضهم بأن المعركة ربما كانت لسبب سياسي لأن السيد ماركيز كان دائماً في صف اليسار بينما السيد يوسا في ذلك الوقت بدأ يميل لليمين. (فيما بعد حاول محاولة فاشلة في الترشح لرئاسة الجمهورية في بيرو عام ١٩٩٠ كونه من مناصري السوق الحرة). لكن كما يوضح السيد مويا كان سبب الشجار امرأة وتحديداً زوجة السيد فارغاس يوسا التي واساها السيد ماركيز في أصعب فترة من زواجها.

وبينما تظهر الصورة الأولى السيد غارسيا ماركيز وهو في مزاج طيب قال السيد مويا أن العواقب المباشرة للشجار كانت مروعة. وأضاف" التقطت الصورة بعد الحادث بيومين حين جاء إلى بيتي، كان من الصعب التقاط صورة يظهر فيها بشكل أفضل. لديّ صور يبدو فيها وكأنه كان في الواقع تعرض للضرب من قبل الشرطة المكسيكية".

وقال السيد مويا أنه لم يتلق لحد الآن تعليقاً من السيد غارسيا ماركيز عن نشر الصورتين." كنا صديقين طيبين لكننا تفرقنا، فأنا أعيش في " كويرنافاكا" وهو يتجول مرتحلاً في أنحاء العالم".

هذا الاسبوع جرى تكريم السيد غارسيا ماركيز في كولومبيا من قبل المؤتمر العالمي الرابع للغة الاسبانية الذي عقد في "كارتاغانا" وسوف تنشر طبعة خاصة من رواية "مائة عام من العزلة" لمناسبة مرور ٤٠ سنة على صدورها مع تقديم بقلم السيد فارغاس يوسا يطري فيها الرواية ويقال أن المقالة كتبها قبل المشاجرة لكنه لم ينشرها واحتفظ بها حتى الآن.

وبخصوص رد فعل صديقه حينذاك يقول السيد مويا " أنه شديد التدقيق في التفاصيل ويرغب في توثيق حياته في لحظات مختلفة. كانت لديه فكرة تماماً بأنه كان يرغب في أخذ صورة له بعين كدماء".

وصية ماركيز

لو وهبني الله حياة أطول لكان من المحتمل ألا أقول كل ما أفكر فيه، لكنني بالقطع كنت سأفكر في كل ما أقوله.

كنت سأقيّم الأشياء ليس وفقاً لقيمتها المادية، بل وفقاً لما تنطوي عليه من معان.

كنت سأنام أقل، وأحلم أكثر في كل دقيقة نغمض فيها عيوننا نفقد ستين ثانية من النور ، كنت سأسير بينما يتوقف الآخرون . أظل يقظاً بينما يخلد آخرون للنوم ، كنت سأستمع بينما يتكلم الآخرون . كنت سأستمتع بأيس كريم لذيذ بطعم الشكولاتة .

لو أن الله أهداني بعض الوقت لأعيشه كنت سأرتدي البسيط من الثياب ، كنت سأتمدد في الشمس تاركا جسدي مكشوف بل وروحي أيضاً .

يا إلهي ... لو أن لي قليلاً من الوقت لكنت كتبت بعضاً مني على الجليد وانتظرت شروق الشمس .

كنت سأرسم على النجوم قصيدة بنيديتي وأحلام فان كوخ كنت سأنشد أغنية من أغاني سرات أهديها للقمر ، لرويت الزهر بدمعي ، كي أشعر بألم أشواكه ، وبقبلات أوراقه القرمزية .

يا إلهي ... إذا كان مقدرا لي أن أعيش وقتاً أطول، لما تركت يوماً واحد يمر من من دون أن أقول للناس أنني أحبهم ، أحبهم جميعاً ، لما تركت رجلاً واحداً أو امرأة إلا وأقنعته أنه المفضل عندي ، كنت عشت عاشقاً للحب .

كنت سأثبت لكل البشر أنهم مخطئون لو ظنوا أنهم يتوقفون عن الحب عندما يتقدمون في السن ، في حين أنهم في الحقيقة لا يتقدمون في السن إلا عندما يتوقفون عن الحب .

كنت سأمنح الطفل الصغير أجنحة وأتركه يتعلم وحده الطيران كنت سأجعل المسنين يدركون أن تقدم العمر ليس هو الذي يجعلنا نموت بل : الموت الحقيقي هو النسيان .

كم من الأشياء تعلمتها منك أيها الإنسان ، تعلمت أننا جميعا نريد أن نعيش في قمة الجبل ، من دون أن ندرك أن السعادة الحقيقية تكمن في تسلق هذا الجبل ،

تعلمت أنه حين يفتح الطفل المولود كفه لأول مرة تظل كف والده تعانق كفه إلى الأبد ، تعلمت أنه ليس من حق الإنسان أن ينظر إلى الآخر ، من أعلى إلى أسفل ، إلا إذا كان يساعده على النهوض ، تعلمت منك هذه الأشياء الكثيرة ، لكنها للأسف لن تفيدني لأني عندما تعلمتها كنت أحتضر .

عبر عما تشعر به دائماً ، افعل ما تفكر فيه.. لو كنت أعرف أن هذه ستكون المرة الأخيرة التي أراك فيها نائماً ، لكنت احتضنتك بقوة ، ولطلبت من الله أن يجعلني حارساً لروحك.

لو كنت أعرف أن هذه هي المرة الأخيرة التي أراك فيها تخرج من الباب لكنت احتضنتك ، وقبلتك ، ثم كنت أناديك لكي احتضنك وأقبلك مرة أخرى . لو كنت أعرف أن هذه هي آخر مرة أسمع فيها صوتك لكنت سجلت كل كلمة من كلماتك لكي أعيد سماعها إلى الأبد .

لو كنت أعرف أن هذه هي آخر اللحظات التي أراك فيها لقلت لك "أنني أحبك من دون أن أفترض بغباء أنك تعرف هذا فعلا .

الغد يأتي دائماً ، والحياة تعطينا فرصة لكي نفعل الأشياء بطريقة أفضل .

لو كنت مخطئاً وكان اليوم هو فرصتي الأخيرة فإنني أقول كم أحبك ، ولن أنساكم أبداً . ما من أحد ، شاباً كان أو مسناً ، واثق من مجيء الغد ، لذلك لا أقل من أن تتحرك ، لأنه إذا لم يأت الغد ، فإنك بلا شك سوف تندم كثيراً على اليوم الذي كان لديك فيه متسع كي تقول أحبك ، لن تبتسم لأن تأخذ حضناً أو قبلة أو تحقق رغبة أخيرة لمن تحب.

http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

مع كاسترو

في مديح الساحر

عبدالكريم كاظم

ليست الحياة ما يعيشه أحدنا، وإنما ما يتذكره وكيف يتذكره ليرويه. (ماركيز) من منا لا يتذكر الروايات العظيمة، الصخب والعنف لفوكنر، الأحمر والأسود لستندال، لعبة الكريات الزجاجية لهيرمان هيسة، القلعة لكافكا، الأخوة كرمازوف لديستوفسكي، الشيخ والبحر لهمنغواي، وقلب الظلام لجوزيف كونراد، وغيرها الكثير... إننا نتذكرها جميعاً، أعني نتذكر مسيرة أبطالها ونموها الحدثي وسرديتها المذهلة، ونتذكر أيضاً حوار شخصياتها وفصولها الممتعة والأمكنة التي دارت فيها الأحداث وحتى أزمنتها المتعاقبة، وهنا أريد أن أقول أيضا من منا يستطيع ألا يتذكر ويستعرض باهتمام بالغ وبصورة استثنائية أيضاً الرائي الكولومبي الساحر غابريل غارسيا ماركيز بعد قراءاتنا لرواياته الكبيرة بدءاً من مائة عام من العزلة وليس انتهاءً بذاكرة غانياتي الحزينات التي صدرت مؤخراً عن دار المدى للثقافة والنشر بتوقيع المترجم صالح علماني/٢٠٠٥، فروايات هذا الساحر هي امتداد لحياة مدونة بطريقة تغريبية متداخلة بشكل يدعو للدهشة والتأمل لحرصه دائماً على أن تكون عملية تدوين أحداث رواياته كما حدثت في الواقع وبلغته السحرية المعروفة لديه، ويخيل لي أن الهم الإبداعي الذي كتبت به روايات المبدعين أمثاله أو لنقل رواياته هو بصورة استثنائية؟

إن الإجابة على مثل هكذا تساؤل ليس بالأمر البسيط ولكن قراءة دقيقة متفحصة قد تمنحنا هذا الافتراض ـ في تساؤلاتنا ـ ما يدعمها من خلال طبيعة نتاجاته الروائية وموضوعاتها وهناك أيضاً ما يدعم هذه الافتراضات التي قد تستجد بطريقة ما أثناء القراءة يمكن حصرها في نوايا الرائي الفنية التي تبتغي تقويض البناءات الأسلوبية والتقليدية في الكتابة الروائية وإحلال عنصري المغامرة والتحريض اللذين يستفزان المتلقي معرفياً، كبديل لكتابة تنتمي في طريقة تركيبها وأسلوبها إلى ما يمكن أن نطلق عليه مجازاً (عالم ماركيز) بامتياز، واضعين نصب أعيننا إمكانياته الإبداعية في صياغة هذه الخصوصية الخيالية لديه وتوظيفها على أفضل ما يرام خصوصا وهو يوقظ لدينا أسئلة مقدمة حين يتكلم على أمور مسكوت عنها أنتجها الواقع الذي نعيش.

في كثير من الأحيان أرى أن غابريل يريد من قارئه أن يتمثله في طموحاته ومغامراته وكذلك في رحلاته وتجاربه الحياتية داخل النص الروائي وهو بهذه الحالة يجعل من القارئ أن ينسج لنفسه ـ خلال القراءة ـ طموحاً، مغامرة مماثلة لما كان يتبنى عليها الرائي أو يتعهدها وفي هاتين الحالتين نراه قد أعتمد أسلوباً مغايراً للسائد في بناء أعماله الروائية حيث أن القارئ لا يستطيع في قراءاته تلك أن يمسك شيئاً أو يتابعه حتى النهاية من دون الوقوع في فخ الغرائبية الماركيزية التي يقترحها على شخوصه الأسطورية، إنها حياة متداخلة وزمن شائك وحكايات متشعبة تبدأ من الماضي لتنتهي إلى ماض أعتق وأعمق وأحياناً يبدأ بالحاضر ليرمي بنا في حاضر آخر غريب عنا يجعلنا نستدرك أنفسنا بشكل قلق وكأننا لا نعرفه. هذه هي البنى الروائية لهذا الساحر التي تصدم القارئ من جهة ومن جهة أخرى تنمي التربية الذوقية لديه التي تجعله حريصا على أن لا يترك باباً واحداً موصداً إلا وأشبعه طرقاً. في الكثير من مقابلاته الصحفية التي أجريت معه لفترات متعاقبة يؤكد غابريل على واقعية رواياته واستلهامها لواقع القارة (أمريكا اللاتينية) ولو أن ثمة التباسات كثيرة ومختلفة تتعلق بهذه التسمية ومدى صلاحيتها التي قد ترتبط أو لا ترتبط بالمعنى الاصطلاحي والجغرافي المراد لها مع العلم أن هذه التسمية جاءت من خارج القارة، فقراءة أحاديثه مع (ميندوزا) في عشت لأروي التي ترجمها صالح علماني تجعلك تتداخل مع حميمية غابريل وفطريته السحرية السردية وتقنياتها الرائعة وصياغته للأحداث عن تلك الجوانب من شخصيته الإبداعية واستيعاب الكثير من عوالمه الروائية ولعل العبارة أعلاه التي تتصدر عنوان مقالنا هذا تختزل إلى حد كبير رؤيته البانورامية للحياة والكون من خلال ذاكرته الحكائية المدروسة بمنتهى الدقة من أجل الحكاية ولأجلها وهنا أيضاً تتداخل الحكاية والحياة في بوتقة واحدة تصهرها تلك العلاقات المتبادلة والمتلازمة داخل نصوصه الروائية بطريقة مثيرة جداً والأمثلة كثيرة على ذلك خصوصاً في خريف البطريارك/ مائة عام من العزلة/ في ساعة نحس/ الجنرال في متاهته/ قصة موت معلن وغيرها الكثير من أعماله المعروفة .

في أحد أحاديثه يقول: أن أول كتاب قرأه أو قرأ مقاطع منه هو كتاب ألف ليلة وليلة وهنا أستطيع القول أن شخصيات ألف ليلة وليلة هو قوامها الأساسي الحكاية (الراوية الغائب/ الراوية الحاضر)، إذ لا قوام لها إلا إذا أنشأت السرد بصورة أساسية أو أنشئت في السرد بتعبير (عبد الفتاح كيليطو) أي أنها الشخصية/ السرد أو الشخصية/ الحكاية أمام سلوك معظم الشخصيات الروائية المغامرة التي خلقتها مخيلته، فهي أيضاً تنطلق من حكاية لتفضي إلى حكاية أخرى ـ من خلال السرد ـ ومن هنا نستطيع القول أن لا وجود لحقيقة ما في النص الروائي إلا عبر ما تناوله الرائي في عبارته المتعلقة بكيفية التذكر التي من خلالها ينطلق محققاً بفضاءاته النصية لكي تتوالد لشخصياته المغامرة السياق الحكائي فيقوم التداخل بين الحياة والحكاية يأخذ مدياته المتعددة أو بمعنى أدق مدياته التي يريدها بين سياقين أو أكثر لموضوعة السرد المتضمن لتلك السياقات التي تُسرد على لسان الرائي سوى بصيغة المتكلم أو في صيغة الغائب ومن هنا أيضاً سوف تبرز الصلة بين الحياة كعالم لا متناهي والأحداث التي تروي بضمير المخاطب في بعض الأحيان متجاوزاً الصيغة الجماعية بصورة قصدية تتعلق في الشكل الفني/ الجمالي لحركية شخوصه وتصاعدها الحدثي، وعليه تكون هذه الثنائية الجدلية وجهاً آخر من أوجه الحياة التي يُقربها الرائي لتصبح الحدث الأبرز في نتاجاته الإبداعية السحرية التي تشبه سحر الصورة الشعرية بحسب تعبير (الجرجاني) والتي تضعنا كمتلقين في حالة من التماثل كما أسلفت أعلاه وفي بعض الحالات تجعلنا بعض توصيفاته النقدية اللاذعة في حالة من الكوميديا السوداء

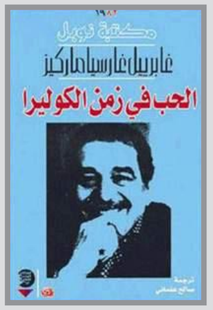

بالمصطلح المسرحي وهنا أتذكر هذا المقطع المجتزئ من رواية خريف البطريارك الذي يقول فيه: (كل شيء للأغنياء بالطبع ولا شيء للفقراء، لأنهم لن يمتلكوا شيئاً مطلقا وفي اليوم الذي سيصير فيه للبراز أدنى قيمة فإنهم سوف يولدون من بدون مؤخرات) وكذلك مفردة (خراء) كما وردت في الترجمة العربية والتي ينهي بها عمله المعروف ليس لدى الكولونيل من يحاكمه فحين كان الجنرال في أقصى حالات العزلة والفاقة أمر زوجته العجوز بإعطاء كل ما يملكون من غذاء إلى الديك وحينما تسأله زوجته ماذا سنأكل؟ يصرخ قائلاً خراء. مخيلة غابريل المذهلة أستمد منها الكثير من القصص والأساطير ليشحن بها كتاباته للحد الذي جعله أن يحقق ألقاً منسجماً لهذا العالم الذي يطفو فوق الواقع بينما جذوره متأصلة فيه، فحين نتوغل عميقاً في شخصياته الروائية وأبعادها الإنسانية وكينونتها نجدها أحياناً قاسية في التوغل بهذه الرحلة مع النفس تارة ومع الآخر تارة أخرى يعكسها لنا غابريل عبر لغة سحرية مغرية، والإغراء الذي أقصده هنا متأت من الشكل الفني الذي تولده لحظة الكتابة المتبوعة بلحظة القراءة والتي سرعان ما تعود بالقارئ إلى التوقف ملياً حتى يستطيع امتصاص انطباعاته الأولى، هذا ما يمكن أن تولده لغة وأجواء غابريل لدى المتلقي الذي ينشد الدقة الفكرية ليدرك في الوقت نفسه أبعاد الرسائل الإنسانية المتعددة في مواقفه الحياتية التي يعكسها ويترجمها تباعاً في نتاجاته الأدبية. أحياناً يشتد به الاعتقاد لدرجة يدفعني إلى القول بمنتهى الحزم: أن الذي سنحت له فرصة قراءة غابريل بلغته الأصلية وذاك الذي يطلع على الترجمة العربية لكتاباته الروائية لا بد له وأن يدرك الجهد الكبير الذي يبذله المترجم للمحافظة على روح النص الأصلي بلغة عربية جميلة والجمال الذي أقصده هنا ليس جمال الشكل أو المفردة وحسب بل جمال الاختيار الدقيق للمفردة العربية التي تمتلك من الموسيقى الداخلية ما يناسب أو يوازي مفردة غابريل وأجواءه السحرية التي لا تنفصل عن بعضها البعض إن أن مفردة غابريل ـ كما يبدو لي ـ تدل على أجوائه كما ترشدنا أجواؤه ـ في الوقت نفسه ـ إلى مفرداته وربما يمكن للقارئ الجاد أن يتصور ذلك الجهد الخرافي للمترجم ـ باعتبار أن الترجمة واجب أخلاقي/ معرفي قبل أي توصيف آخر حسب صبحي حديدي وهذه الإشارة المهمة تدفعني لاستيضاح أمر الترجمة من خلال ما ذهب إليه الجاحظ في هذا الأمر موضحاً ذلك في هذا التعليق...

يقول الفرنسيون من أن الترجمة خيانة ولكن الجاحظ يستدرك ذلك فيقول... لا يمكن أن تترجم من لغة إلى أخرى إلا بما يوازيها أو يماثلها فالاستحالة الجاحظية آذن حتى تلك المتعلقة بالشعر ليست مطلقة بل هي مقيدة إلى حد كبير بما يوازيها أو يماثلها على الأرجح في النص الأصلي ـ الذي يعكس بصورة أو بأخرى المعلومات التي تزخر بها روايات غابريل والتي تعكس أيضاً ثقافته الموسوعية خاصة إذا ما تعرفنا على مصادره المعرفية والثقافية وأفكاره ومواقفه.

كل عبارة أو مفردة في رواياته لها دلالاتها المدروسة ومع هذا فإن شخصياته الروائية ليس شخصيات على الورق ـ من منا يستطيع أن ينسى (فلورنيتنو اريثا) عاشق غابريل في رواية الحب في زمن الكوليرا أو الكولونيل (أورلاندو بيونديا) الذي أنجب سبعة عشر ابناً من سبع عشرة امرأة كلهم ماتوا في اليوم نفسه عدا واحد هو ماركيز ـ إنها شخصيات تبدو حقيقية بسلوكياتها الخرافية نتفاعل معها ونعيش حيواتها في رحلتها الإنسانية الواسعة وشرورها وحتى عاطفيتها وربما لهذا السبب بالدرجة الأولى نجد أن أعماله قد تمثلت فرصة نادرة للكثير ممن هم حريصون على اقتناء هذه الأعمال وقراءتها بمنتهى الحرص والمتعة. هذه المقالة جاءت كما بدى لي نتيجة لتعدد القراءات ولكن غايتها الأولى هي القاء نظرة نتمى أن نفي بعض أغراضها المتعلقة بأدب غابريل الروائي وهي تستهدف في الوقت نفسه التعرف على قيمة إنجازاته الروائية بصورة موجزة ببعض الشيء، فرواياته الذائعة الصيت جلها تمتلك شأناً فنياً كبيراً يقنعنا ـ كمتلقين ـ بقدراته الأدبية التي لا تقل شأناً عن قدرات زملائه من كتاب أمريكا اللاتينية على سبيل المثال: أستورياس/ ماريا فارغاس/ خورخي أمادو/ كورتازار . لعلها مصادفة غريبة نوعا ما تلك التي جعلت من قرية (ماكوندو) المنسية أن تشتهر من خلال روايته مائة عام من العزلة مثلما أشتهر نهر (بويب) الصغير جدا من خلال شعر بدر شاكر السياب وهذه الملاحظة الجميلة سبق أن أشار إليها في فترة الثمانينيات في جريدة الجمهورية البغدادية الشاعر العراقي عبد الرحمن طهمازي في مقال له عن غابريل وهنا أحببت أن أشير لذلك من باب التذكير ليس إلا. يقول غابريل في مذكراته (عشت لأروي) معلقاً على موضوع الموت.. من أن الموت سيكون التجربة الوحيدة التي لن أتمكن من الكتابة عنها ، وفي هذه الحالة هل نستطيع أن نقول بناءً على قوله هذا من أنه قد أستسلم لموضوع الموت مثلما أستسلمت الحضارة له وهل كان عليه في الوقت نفسه أن يعلن احتجاجا ولو عابراً لمثل هكذا موضوعات أو أن يرفض معنى أن يموت الإنسان ويأخذ بهذه السهولة إلى القبر ثم ما حاجة الكاتب إلى الكتابة إذا كان متيقناً من موته، هل هو بحث عن شكوك جديدة وليس بحثا عن يقين، فالشك هو حالة إبداعية تمنحنا ديمومة التواصل في الكتابة عن الحياة وهل أراد أن يثبت لنفسه أن الكتابة هي نوع من أنواع مقاومة هذه الميتات التي يتعرض لها الإنسان يومياً وهي بدورها تعويض عن الكثير من المفقودات، فالحياة والموت يبرزان بالنسبة إليه كما أرى شرطان متصلان، بحيث لاحياة بلا موت ولا موت بلا حياة والمعادل الحقيقي بينهما هو الكتابة، فالكتابة هنا هي المنقذ من الموت أو بمثابة طوق نجاة من العدم، ولأن أحساس الكاتب على ما يبدو مهدد بالفناء دائما وهذا هو السر في تجربة الموت التي لن يستطيع الكتابة عنها حين تخطر في بال هذا المبدع، يبدو أيضاً أن غابريل بهذه الإشارة المقلقة قد عزم أمره على إقامة جثته الخاصة على الأرض من خلال الكتابة، ثمة غرام كبير أو عهد مبرم مع الكتابة يمنحه تكيفاً معيناً من نوع ما لا تنهيه ملامح انتصار الموت على الحياة/ الكتابة، وهل ثمة مهنة أخرى للموت غير تدمير معالم الحياة؟

الوجه الخفي لماركيز

ترجمة: عدوية الهلالي

يعد الملايين من القراء في مختلف انحاء العالم مؤلف رواية (مئة عام من العزلة) لكن القليل منهم فقط يعرفون مناطق الظل الخفية في حياته التي كشفها مؤخرا الكاتب البريطاني جيرالد مارتن في سيرة تليق بالكاتب الكولومبي الشهير غابرييل غارسيا ماركيز خاصة وانها استغرقت ١٧ عاما من العمل المستمر. ذات يوم، قال الشاعر الفارو موتيس ان حياة ماركيز تتجاذبها ثلاث مراحل متداخلة.

المرحلة الشعبية والخاصة والسرية.. واليوم وبعد ان بلغ الثانية والثمانين من عمره، مازال ماركيز يستمتع بخداع عالمه وازالة الغشاوة عن عينيه في الوقت ذاته في مبالغة يصعب تصديقها وتلاعب موفق في نقل الحقائق الجارحة، فعلى سبيل المثال، مازال مؤلف سيرة ماركيز يتساءل ان كان الروائي الكولومبي يواصل الكتابة كما يدعي ام انه القى بقلمه نهائيا ؟

يميل الاستاذ الجامعي جيرالد مارتن الذي الف سيرة ماركيز الى الوثوق به محاولا البرهنة على استثنائية حياة "غابو "-اسم التدليل لماركيز –غير القابلة للتصديق.. "هذا هو غابو ..انه يروي القصص باستمرار "..كان والده الاقطاعي غارسيا ماركيز يرد دائما، لكنه مخترع لحكايات غريبة في كتاباته كما في حياته..وكان الكاتب الكولومبي قد وافق على تصنيفه كساحر او مشعوذ لأختراعه طريقة مبتكرة في الكتابة ولبلوغه الذروة في التعبير الادبي والسياسي ايضا. في عام ١٩٨٢، حصل على جائزة نوبل للآداب، وكان ماركيز قد بدا حياته كصحفي لامع ثم مارس كتابة السيناريو وتخصص بعدها في الاعلانات، كما كان وسيطا وسياسيا وكاتبا دراميا ونصيرا للآداب والفنون فضلا عن تاسيسه مدرسة للسينما في كوبا ومعها للصحافة في كارتاجين ....طاف ماركيز حول الارض في فترة كان السفر فيها صعبا وكان ذلك مفخرة حقيقية بالنسبة لصحفي لايملك مالا كافيا ولايجيد التحدث بالانكليزية . وعمل وقتها في صحيفة (هونغري) الشيوعية و(باريس) اللاتينية ومثلتا بالنسبة له مرحلتين مهمتين في حياته، اولا بسبب سذاجة الصحفي الشاب المتاثر بالسلطة، وثانيا بسبب العوز الشديد الذي عاشه .. لم يبتكر ماركيز شيئا في كتاباته بل استوحى كل شيء من حياته، وبالنسبة لمن يجهلونها، فان ماكوندو موجود ة ..تلك القرية الغريبة في رواية (مئة عام من العزلة) والقريبة من مدينة اراكتيكا التي ولد فيها غابو عام ١٩٢٧، وهي منطقة زراعية مثمرة غزتها حملة امريكية وقتل فيها مئات العمال بعد قيامهم باضراب شعبي عام ..هناك، تربى غابيتو الصغير في كنف جده الكولونيل ثم انتقل الى حضن والديه وهما اللذان استوحى منهما قصة العاشقين في روايته الرائعة (الحب في زمن الكوليرا) ليتربى مع اشقائه وشقيقاته العشرة في مقاطعة كارتاجين .. منذ الطفولة، بدأت آثار عالم ماركيز الادبي حيث البيئة الاجتماعية القاسية وسحر السلطة وعائلة يسيطر عليها الايمان بالخرافات والضحك والخوف من الموت ..وحيث الاسطورة اجمل من الواقع .. بعد سرد طفولته يتوقف كاتب السيرة جيرالد مارتن بعد ذلك عند موهبة ماركيز الادبية لكنه لايمتلك اسلوبه اللامع فيرويها بطريقته مشيرا الى التاثيرات السياسية فيها مابين عام ١٩٤٠ واعوام الالفية الثالثة .. لقد بدات علاقة ماركيز بالسياسة مذ كان طالبا في الكلية فعدم حصوله على المال يحرمه من المنحة الدراسية ويبعده عن الكتابة ..بعدها بدات مرحلة الارتباطات السياسية والثورات والاشتراكية الامريكية –اللاتينية وتمويل الزمر المسلحة في فنزويلا واخيرا علاقاته مع ذوي النفوذ من امثال ميتران وملك اسبانيا وكلينتون وفيدل كاسترو وصداقته مع القائد ماكسيمو ... مابين عامي ١٩٦٧ و١٩٨٥،بدا ماركيز يشكل خطرا وخضع لتجسس المخابرات المكسيكية عليه ومنعته الولايات المتحدة من دخول اراضيها، لكن ماركيز لم يجابه تلك المواقف بالحقد بل تفرغ للكتابة وابهار العالم بواقعيته السحرية مانحا امريكا اللاتينية هوية مستقلة تماما ...واليوم، يعيش ماركيز في المكسيك مع زوجته مارسيديس ويمتلك رزينة من المنازل المتواضعة الحجم .. تضم السيرة ايضا علاقته مع ولديه الاثنين ونظرته للنساء وسبب رفض المخرج الياباني اكيرا كوراساوا تحويل روايته (خريف البطريارك) الى فيلم سينمائي ..وتضم ايضا تعليقات البعض على اسلوبه ومنها مقالته توماس بينشون (اوه ...تبا له ..ياله من كاتب جيد)! حملت السيرة عنوان (غابرييل غارسيا ماركيز ..حياة). وتم نشرها في دار نشر غراسييه الفرنسية

ها هو يقترب من الثمانين، الشخص الأكثر شعبية في مناطق واسعة من أميركا اللاتينية، وواحد من الأدباء القلائل في العالم الذين يزاحمون فنانّي السينما والرياضيين على الشهرة والنجومية.. غابريل غارسيا ماركيز المولود في بلدة أراكاتاكا في كولومبيا في العام ١٩٢٨، يعدّه مواطنوه رمزاً للكرامة القومية ومفخرة للوطن، له علاقات واسعة مع أصحاب السلطة في بلدان مختلفة، وحتى مع رؤساء عصابات، وهو موضع ثقة دائمة حتى عند أكثر الأشخاص تشككا مثل فيدل كاسترو، وقد كلف مرات عدة ليكون وسيطا للتفاوض بين الجهات المتعادية والمتقاتلة بالسلاح. وينتقده بعضهم كونه يحب التقرب من السلطة على الرغم من أنه لا يحبها، ويستمتع بأداء دور الوسيط في الأزمات. وكولومبيا التي أنهكتها الحرب الأهلية طوال قرن أو أكثر منذ استقلالها عن اسبانيا في عام ١٨١٩ وما زالت تعاني من الفقر وتجارة المخدرات والصراعات السياسية الدامية وانتشار العصابات بقيت المادة الخام الأساسية لرواياته، لا سيما في البيئة التي عاش فيها (قريته أراكاتاكا) التي أنشأ بمخياله الخصب مكانا موازيا لها في أعماله الروائية الكبيرة وهي (ماكوندو) لتكون فضاءً حيا لجزء مهم من عالمه الروائي.

سعد محمد رحيم

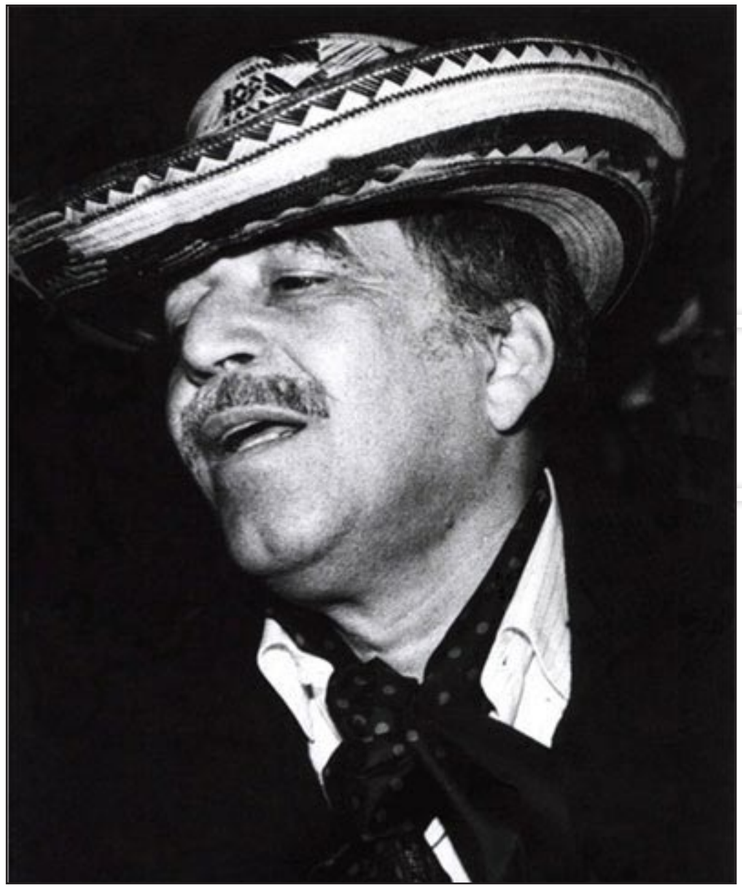

MARQUEZ
بين روايتين

في بلد هو المتفائل فيه في بلد مضطرب مثل هذا، والذي يقول عنه أنه المتفائل الوحيد فيه، اشتغل ماركيز في الصحافة منذ الخمسينيات بعد أن اكتشف في نفسه موهبة الكتابة مبكراً، ولم يستطع إكمال دراسته الجامعية في القانون نزولا عند رغبة أبيه، تاركا الجامعة الوطنية في بوغوتا التي التحق بها، فسافر كثيراً إلى أوروبا وأميركا حتى قبل أن ينال الشهرة، وكان مراقباً ذكيا لما يحدث حوله بعدما تمثل تاريخ بلده والقارة الحديث، ووعى جذور المشكلة بحس ماركسي في الغالب، وفهم لغز السلطة كما يؤكد، فكتب عمليه الكبيرين: (مائة عام من العزلة) و(ليس لدى الكولونيل من يكاتبه) واللذين يعدان من أهم ما كتبه من أشياء وأحداث ومفارقات لا معقولة وغريبة لم تكن من بنات خياله وإنما استلهمها واستمدها من الواقع الذي عاشه، وأن أي سائق تاكسي في كولومبيا يمكن أن يحكي لك ـ كما يقول ـ ما حكاه هو في رواياته وقصصه، هو المغرم بالحكايات، هو الذي ترعرع في منزل تُسرد فيه الحكايات، وبيئة منتجة لكل ما هو خارق وخرافي وساحر. فماركيز ابن تجربته الغنية وقد وهبه الله القدرة على الحكي، ووجد هدف حياته في أن يحكي، فعاش ليحكي.

عشت لأحكي

(عشت لأحكي، أو لأروي) هذا هو عنوان كتاب سيرته الذي وضعه بعدما علم أنه مصاب بالسرطان، وأنه قريب جدا من الوادي الأخير وهو يهبط سفح الحياة من الجهة الأخرى، على حد تعبير هيرمان هيسه. وما يبغي ماركيز أن يرويه على الدوام، في معظم أعماله المعروفة، هو فعل الزمن في الإنسان، فعله في عقله وروحه، في مزاجه ورغباته وأفكاره، مع مقاومة لا تهادن ضد ذلك الفعل، وضد الزمن. فيما تجرى استعادة دائمة للذكريات مغلفة بالأسى والشجن، وببعض الأسف والندم، فأناس ماكوندو الصامتون كما يصفهم ماركيز في رواية (عاصفة الأوراق) هدتهم الذكريات، وهم في عزلتهم.. ما فقدوه، وما يتوهمون أنه كان لهم وفقدوه. وبمعنى ما فإن روايات ماركيز تدور، في حقيقتها، حول العزلة والفقدان. عمّا كان وضاع. هذا ما يحدث للكولونيل، في سبيل المثال، في رواية (ليس لدى الكولونيل من يكاتبه) وللجنرال بوليفار في رواية (الجنرال في متاهته)، وكذلك للكولونيل بوينديا في رواية (مائة عام من العزلة).

ثمة إصرار غريب يطبع سلوك كثر من شخصيات ماركيز.. إصرار صبور، صادم، ويكاد يكون لا معقولاً، أحياناً.. في رواية (الحب في زمن الكوليرا) سينتظر (فلورنتينو أريثا) نصف قرن، وسيكون إذ ذاك في الخامسة والسبعين من عمره، ليفصح لـ (فيرمينا داثا) عن حبه كرّة أخرى. ليجدد عهد وفائه، مثلما سيعترف، للمرأة التي رفضته بعد وصال قصير، حين كان في الخامسة والعشرين، وتزوجت غيره، فقرر هو من يومها أن لا يتزوج ريثما يموت زوجها، والذي سيموت بعد خمسين سنة. هكذا، متشبثاً بالحياة، على الرغم من الشيخوخة. وها هو راو رواية (ذاكرة غانياتي الحزينات) يعلن منذ البدء "في السنة التسعين من سنوات حياتي، رغبت في أن أهدي إلي نفسي ليلة حب مجنون، مع مراهقة عذراء" ص٧. هو الصحافي الذي يكتب عموداً أسبوعياً منذ عقود طوال في صحيفة محلية، سيكون عليه ألا يجعل مقاله في ذكراه "مجرد حسرة على السنوات الذاهبة، وإنما العكس تماماً. تمجيد الشيخوخة" ذاكرة ص١١. إنه يعي مدى الخراب الذي تركته السنون على جسده، وحين ينظر في المرآة يرى " لا الحصان الذي نظر إلي من الجانب الآخر، لم يكن ميتاً وإنما كئيباً، ولم غبب تحت ذقنه كغبب البابا، وجفنان منتفخان، وناصية الموسيقي التي كانت له قد تهدلت.." ذاكرة ص٢٧. لكنه، في الوقت نفسه، غير محبط، ويحمل بين جوانحه مقداراً هائلاً من الرغبة في الاستمرار.

شيّد ماركيز عالما روائياً خاصاً به، ليس من خلال اللغة والأسلوب ونمط الشخصيات وبناء الحدث وطرق السرد وحسب، وإنما عبر إيجاد أرضية جغرافية وتاريخية متعينة لذلك العالم، تماماً مثلما فعل وليم فوكنر حين اختلق إطاراً مكانياً لرواياته مقاطعة متخيلة اسمها (يوكنا باتوفا) وهي تشبه، إلى حد بعيد، المقاطعة التي ولد وعاش فيها (نيو ألباني قرب أكسفورد في المسيسبي)، لتتكرر الأسماء وأجزاء من الأحداث المسرودة بين بعض من رواياته وقصصه القصيرة.. بالمقابل ابتدع ماركيز قرية، أو بلدة (ماكوندو) وهي تشبه أيضا، القرية التي ولد وعاش فيها، وكان فوكنر أحد ملهمي ماركيز. وماركيز نفسه يعترف في مقابلة مع بيليينيو أبوليو مندوزا: "إن مشكلتي لم تكن في كيفية تقليد فوكنر، ولكن في تدميره. لقد كان تأثيره يشل حركتي". وقبل أن ينشر ماركيز روايته (مائة عام من العزلة) التي كانت السبب في ذيوع شهرته وحصوله على جائزة نوبل للآداب (١٩٨٢) كتب ونشر بضعة أعمال روائية لم تثر اهتمام القراء والنقاد منها (ليس لدى الكولونيل من يكاتبه، حكاية غريق، عاصفة الأوراق) بيد أن هذه الأعمال لم تلفت إليها الانتباه إلا بعد صدور وانتشار أعماله الكبيرة.

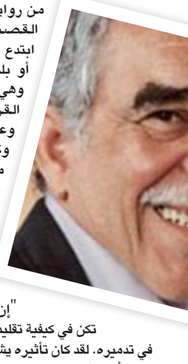

عاصفة الاوراق

تنتمي رواية (عاصفة الأوراق)× إلى تلك الفترة المبكرة من حياة ماركيز الإبداعية حيث كان يشتغل في الصحافة ويعاني العوز والإهمال.. كان في تلك الآونة أكثر حرية وهوساً بالتجريب، وإقداماً على المغامرة، هو الذي بقي يجرّب ويغامر، وإن بدرجة أقل، كلما ذاع صيته أكثر وضغط عليه هاجس الاحتفاظ بالمستوى الإبداعي العالي لكل عمل جديد حاسباً حساب نقاده المتربصين ومتلقيه المنتظرين الذين يريدون من الحاصل على جائزة نوبل للآداب ما هو متقن ورائع ويقترب من الكمال، إلى جانب العبء الذي يفرضه إصدار بضع روايات كبيرة مدوية، حيث تجري المقارنة القاسية بين ما كُتب وصدر قبلا، وما كُتب وصدر الآن. والجزء الأخير من هذا الكلام ينطبق على رواية ماركيز الجديدة (ذاكرة غانياتي الحزينات)×× التي تعكس أسلوب ماركيز، ومقدرته الفذة في السرد الروائي، وتحمل بصماته، لكنها لن تصمد بعدّها عملاً كبيراً إزاء روايات ماركيز الأخرى التي ذكرناها.

أما (عاصفة الأوراق) فتبدو وكأنها ترهص لرواية (مائة عام من العزلة) فهناك القرية عينها التي تجري فيها الأحداث (ماكوندو) وإشارة إلى الكولونيل بوينديا، فضلاً عن المسحة السحرية الغرائبية التي تدفع أجواء الرواية، ولغة الروائي المتدفقة بجملها الطوال، واستعاراتها المدهشة. ومقطع مثل هذا مستل من (عاصفة الأوراق) لا بد من أن يذكّر بـ (مائة عام من العزلة):

"هناك وقت تنقطع فيه فترة القيلولة، وتتوقف أثناء ذلك حتى أدق الحركات السرية، الخفية للحشرات. كما أن دورة الطبيعة تتوقف هي الأخرى؛ ويتعثر الخلق على حافة الفوضى وتنهض النساء، وقد سال اللعاب منهن، وانطبعت فوق خدودهن ورود المخدات المطرزة، وهن يختنقن من الحرارة والضغينة، وعندها فإنهن يفكرن مع أنفسهن؛ لا يزال اليوم في ماكوندو هو الأربعاء" عاصفة ص٦١.

وعاصفة الأوراق هي كناية تكاد تكون ساخرة عن شركة الموز (الاحتكارية الأميركية) التي ستدخل البلدة لتغير شكل حياتها، وتخرج منها تاركة الخراب والذكريات الحزينة.

تبدأ رواية (مائة عام من العزلة) بمشهد للكولونيل بوينديا وهو أمام فصيل الإعدام يتذكر حادثة رؤيته للثلج للمرة الأولى، في أثناء استعراض لفرقة سيرك جوّالة، أما رواية (عاصفة الأوراق) فتبدأ مع حادثة موت طبيب قرية ماكوندو الذي لن نعرف اسمه، أو من أين جاء، وكان قد ضيفه في منزله لخمس سنوات كولونيل متقاعد في القرية على إثر رسالة توصية موقعة من الكولونيل بوينديا حملها الطبيب معه. وشخصية الطبيب هذا غريبة، فهو منذ أول جلوس له على مائدة الطعام، في الرهيبة.

يستدعي الكولونيل العمدة ليعطيه إذناً بالدفن إلا أن العمدة يتردد في أول الأمر قبل أن يقرر إعطاء الإذن في تلك الظهيرة القائظة، بعد أن تأكد من أن مرور السنين جعل الناس تنسى، أو لا تبالي، أو تغفر.

إن حكاية حضور الطبيب إلى البلدة وموته تسرد لنا من وجهة نظر ثلاث شخصيات هي؛ الكولونيل الجد، وابنة الكولونيل، وحفيده. وهذه الطريقة تذكرنا بما فعل وليم فوكنر في رواية (الصخب والعنف) وأكثر في رواية (وأنا أحتضر) إذ يتناوب الرواة في سرد ما يجري ليكمل بعضهم بعضاً في إنشاء كلية السرد.

بين تاريخ كتابة رواياتي (عاصفة الأوراق/ ١٩٥٥) و (ذاكرة غانياتي الحزينات/ ٢٠٠٤) مسافة زمنية تقرب من النصف قرن، ولا شك أن تجربة ماركيز الغنية، في غضون هذه المدة، قد نضجت، وكذلك رؤيته.

ماركيز.. عند اليابان!

يقول أن قراءه من اليابانيين كانوا يتصورونه من أصول يابانية، ويشيرون إلى تشابه عوالمه مع تلك التي تزخر بها الروايات التي كتبها كبار كتّاب اليابان، ولهذا ذهب ذات يوم إلى المكتبة واقتنى كل ما هو متوفر من الروايات اليابانية المترجمة، فتلمس ذلك الخيط السري الذي يصله بالسرد الياباني على الرغم من أنه لم يطّلع عليه من قبل. وسحرته رواية بعينها، ودّ لو كان هو كاتبها، وهي رواية (منزل الجميلات النائمات) لياسوناري كاوا باتا، ويبدو أن أجواء هذه الرواية بقيت عالقة في ذهنه أو أنها استوطنت مكاناً ما، جد حميم، من عقله الباطن ليكتب فيما بعد، وهو يقترب من ثمانينياته، رواية عنونها بـ (ذاكرة غانياتي الحزينات) ومن قرأ الروايتين لا بدّ من أن يتحسس نقاط التشابه بينهما في الإيقاع وتكثيف لغة السرد، وإلى حد ما في الأسلوب، وإلى حد بعيد في بنية الحدث ذاته ومناخه. فكلا الروايتين تحكي عن انجذاب متأخر، لرجل مسن، للأنوثة اليانعة وهي تتفتح.. هوىً يستيقظ على حين فجأة، ويتخذ منحى جسدياً، ليس متطلباً كثيراً، وليس بريئا تماما، مترعا برغبة هادئة، متطامنة، وبخيالات ملونة مشدودة إلى حرارة الحياة، ولا تخلو من الأسى.

في رواية (منزل الجميلات النائمات) يرتاد العجوز أنغوشي منزلاً لا يشبه بيوت الدعارة التقليدية، ولا يعرض نساءً يبعن اللذة الحسية، ولا حتى على وفق طقوس فتيات الجيشا في اليابان.. منزلاً متسربلاً بالسرية والغرابة والغموض، يستقبل رجالا مسنين يؤمَّن لهم النوم إلى جانب فتيات عذراوات نائمات، لن تتسنى لهن رؤيتهم، ولن يتسنى لهم معرفة أسمائهن، ولا يحق للرجل حتى وضع إصبعه في فم المرأة النائمة، ولا محاولة عمل أي شيء مشابه.

هوس عجوز عاشق

في رواية (ذاكرة غانياتي الحزينات) سيدخل العجوز/ الراوي الغرفة في بيت روسا كاباركاس السري ليجد فتاة عارية نائمة، عمرها لا يتعدى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة. سيجلس إلى جانبها على السرير عارياً، ولن يحاول إيقاظها، لكنه سيلمسها " مررت بطرف سبابتي انزلاقاً على قفا عنقها المبلل، فارتعشت كلها من الداخل، مثل وتر قيثارة، وانقلبت باتجاهي بهمهمة، وأحاطتني بجو أنفاسها الحامضة. ضغطت أنفها بين إبهامي وسبابتي، فاهتزت، وأبعدت رأسها، وأولتني ظهرها دون أن تستيقظ" ذاكرة ص٢٧ .

إن وجود الفتاة النائمة على السرير عينه، يُشعل الخيال ويؤسس لذاكرة بديلة، لشيء لم يحدث، لكنه يعلق في الذاكرة، لا يُنسى؛ "أمر لا يُصدق: فأنا أراها وألمسها وهي من لحم وعظم، فتبدو لي أقل واقعية مما هي عليه في ذكرياتي" ذاكرة ص٥٧ .

سيمنح الصحافي العجوز هذه الفتاة اسماً افتراضياً موسقاً (ديلغادينا) وسيرفض أن يعرف اسمها الحقيقي من صاحبة البيت السري، ومنذ الآن سيكتب مقالاته، هو ابن التسعين، لها، أياً كانت المسألة التي يتناولها، يبكي ويضحك من أجلها، ويتخيلها طوال الوقت في بيته، تجوب أنحاءه بخطواتها الخفيفة، وهنا سنظهر له

جوانب من ذاته لم يكن يعرفها؛ " اكتشفت أنني لست منضبطاً بدافع الفضيلة، وإنما كرد فعل على تهاوني وتقصيري، وأنني أبدو سخياً لكي أواري خستي، وأنني أتظاهر بالتعقل والحذر، لأنني سيئ الظنون، وأنني أميل إلى المصالحة كي لا أنقاد لنوبات غضبي المكبوحة، وأنني دقيق في مواعيدي لجرد ألاّ يُعرف مدى استهانتي بوقت الآخرين" ذاكرة ص٥٩ .

سيتفاجأ بنفسه واقعاً في حبها، حد الجنون، وحد الموت، حتى إذا انقطعت عن زيارة البيت بعد جريمة قتل عابرة حدثت في إحدى غرفه راح هو يبحث عنها على الرغم من أنه لا يستطيع تصور ملامحها وكيف هي في الواقع، مستيقظة ومرتدية ثيابها، إلى أن يدخل المصنع الذي تعمل فيه فتسأله إحدى العاملات إن كان هو من يكتب رسائل الحب في الجريدة.. يقول: "لم أتخيل قط أنه يمكن لطفلة نائمة أن تُحدث مثل هذا الخراب". ذاكرة ص٨٠.

يعي العجوز أنه سيموت، سيكون ميتاً في هذه السنة، أو بعد مائة سنة، إلى أبد الآبدين، وان عليه أن يمضي بالأمر إلى النهاية، فروحه تستعيد حيويتها وارتعاشة شبابها فيفكر بالفتاة هذه، التي لم يكلمها قط، ولا يعرف عنها إلا القليل، يفكر أن يترك لها كل ما يملك ساعة يموت.

(ذاكرة غانياتي الحزينات) رواية عن المناورة ضد تيار الزمن وتمجيد الشيخوخة، والهرب من التوحد والعزلة، وباختصار عن الحب والموت.

× (عاصفة الأوراق) غابريل غارسيا ماركيز.. ترجمة: مصطفى عبود.. دار المدى للثقافة والنشر/ دمشق ٢٠٠٢ .

×× (ذاكرة غانياتي الحزينات) غابريل غارسيا ماركيز.. ترجمة: صالح علماني.. دار المدى للثقافة والنشر/دمشق ٢٠٠٥

خبر اختطاف "الكاتب الكولومبي"

GABRIEL GARCIA MARQUEZ

ووكر إ. رو

ترجمة: عادل العامل

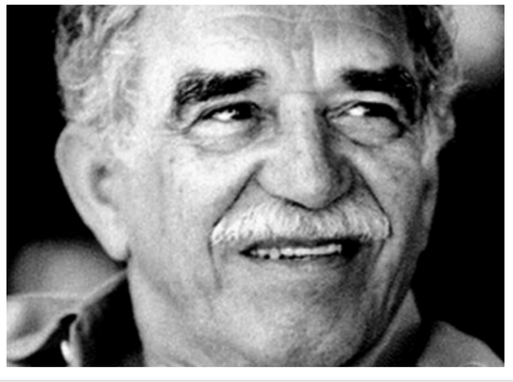

يمثل كتاب "خبر اختطاف" لغابرييل غارسيا ماركيز عملاً من أعمال الكتابة الصحفية الذي يدعى بـ "بالأدا قصة non-fiction". وهذا ليس بالأمر العادي لدى سنيور غابو، كما يدعوه مواطنوه الكولومبيون، لأنه في العادة يكتب القصة. وهو، بالطبع، معروف على نحو أفضل بكونه المؤلف الحائز على جائزة نوبل لرواياتٍ " مائة عام من العزلة "، " حب في زمن الكوليرا "، و" الجنرال في متاهته ". وهي من الأدب القصصي الذي عُرف بـ" الواقعية السحرية ".

ويحكي "خبر اختطاف" هذا حكايات اختطاف أكثر من عشرة مواطنين كولومبيين على أيدي زعماء عصابات مخدرات أصبحوا يسمّون بـ "المعرّضين للتسليم". ولم يعد ذلك الاسم في التداول الخبري نظراً لمقتل بابلو أسكوبار وزعماء مخدرات آخرين وتحطم كارتلات المخدرات إلى جماميع أصغر بما في ذلك جيش حرب العصابات الذي ليس، بالطبع، مجموعة صغيرة بأية حال.

ويشير اسم " المعرّضين للتسليم " إلى حقيقة أن كولومبيا كانت قد وقّعت على معاهدة تقضي بتسليم زعماء المخدرات المطلوبين للولايات المتحدة لمحاكمتهم هناك.

وكان الخطف المصور في هذا الكتاب حملة إرهاب مصمّمة للرد على هذا التشريع. وكان لهذا فعله الكبير نظراً لكون قوانين التسليم قد تم ردّها.

وتُقرأ الكتابة الصحفية في هذا الكتاب وكأنها رواية. فنحن نشهد الفزع الذي يتّسم به خطف الأشخاص، الذين يكونون فيما بعد أسرى في ميديلين وأماكن أخر. ويكون العذاب السايكولوجي بالنسبة للسجناء أسوأ بفعل مواقف أسريهم. ففي لحظة يمكن أن يكون هؤلاء لطفاء لينقلبوا بعد حين إلى متوحشين. ولم يكونوا يتعرضون للتعذيب البدني أو تبساء معاملتهم نفسياً، غير أن غيابهم عن عوائلهم لعام تقريباً وافتقارهم إلى أخبار عنهم يسبب لهم الإنهاك.

وكان بإمكان بعضهم القفز بسهولة من النوافذ والهرب. لكن الخاطفين كانوا يعصبون عيونهم أو يحشرونهم على أرضية السيارة حينما يأخذونهم إلى مكان ما. وبالتالي، فإنهم لم يكونوا يعرفون أين هم حتى وإن كانوا في الغالب في مدينة؛ كما أن الأسرى كانوا مجبَّدين بمشاركة من جيران. ولهذا، فإذا ما استطاعوا التحرر، فإن أولئك الذين يحيطون بهم سيشون بهم بالتأكيد.

لقد كانت هناك لمحة عن حياة غابرييل ماركيز في مجلة " النيو يوركر " قبل سنة أوستين. ويبدو أنه يقوم بدور دبلوماسي وسيط من دون أجر ينقل رسائل بين الولايات المتحدة وكوبا فيدل كاسترو، الذي كان صديقاً له لوقت طويل. وكما كانت الحال مع أونوريه دي بلزاك، فكتور هوغو، أو غور فايدال، فها لدينا اليوم أيضاً روائي منغمر في العمل السياسي إضافة للكتابة.

فإذا لم تكن قد قرأت هذه الأعمال، فلتعلمْ أن أدب ماركيز القصصي جدير بالمتابعة.

ولقد كان أستاذي في الرياضيات في الكلية، المحيط من دون شك من الأولاد المقتدرين إلى التربية الإنسانية، يقدم عونا إضافيا لأولئك الذين قرأوا " مائة عام من العزلة ". وبالنسبة لي، فإني قرأتها فقط بعد انتهاء ذلك الصف. وهي " Buddenbrooks " بالنسبة لأمريكا اللاتينية. فالكثير من مشاهدها وأفكارها مستمد من الأحراش التي نشأ فيها ماركيز. أما " حب في زمن الكوليرا "، فهي على وجه الضبط كالتالي: قصة حب جرت في زمن أتلفت فيه الكوليرا السكان. ولقد بقيتْ رؤية جثث الموتى المنتفخة الطافية في النهر حيّة في عقلي. وأما " الجنرال في متاهته "، فهي نظرة روائية إلى سيمون بوليفار، محرر إكوادور، وبيرو، وكولومبيا. وأنا أحب هذه الكتب بقدر ما قرأت كل واحدة منها لمرات عدة.

عن / Amazon

غابرييل غارسيا ماركيز بعد من اشهر الروائيين الذين ظهروا في العالم الثالث وعالم الرواية في النصف الثاني من القرن العشرين. وارتبط الكاتب الكولومبي بمدرسة الواقعية السحرية في الرواية التي شكلت حولها اتباعا وحواريين من مختلف الدول والاعراق. ويظل ماركيز الذي ولد عام ١٩٢٧ من اشهر كتاب الرواية والوجوه العامة المعروفة في داخل امريكا اللاتينية و العالم الاول وشهرته لا تضاهيها شهرة اي كاتب في العالم. ففي النصف الاول اجمع النقاد على مجموعة من كبار كتاب الرواية فوكنر، جويس، وولف، كافكا وبروست ولكن في النصف الثاني لا يوجد الا كاتب واحد عظيم ومشهور وهو ماركيز.

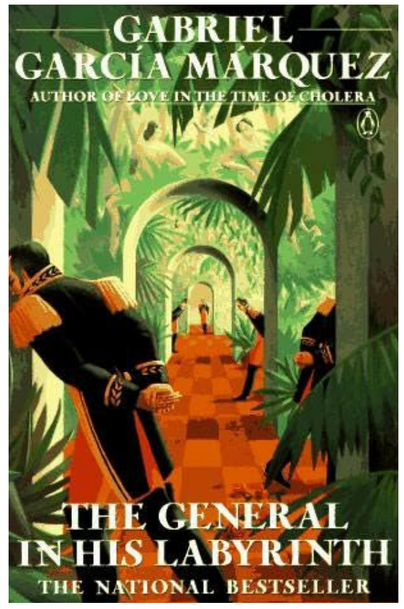

غابرييل غارسيا ماركيز: سيرة حياة روائي تحول الى نجم عالمي

فرائعته التي نشرها عام ١٩٦٧ مائةعام من العزلة وظهرت في مرحلة التحول بين رواية الحداثة وما بعد الحداثة تعد الرواية الاشهر التي وجدت قراء من مختلف الاعراق واللغات بشكل لم تقابله رواية صدرت في الفترة ما بين ١٩٥٠ الى عام ٢٠٠٠. وعليه فانها، بموضوعها العام الصراع ما بين الحداثة والتقاليد وباستقبالها الحافل، اول رواية عالمية. هذا ما يقول كاتب سيرته الرسمية وغير الرسمية جيرالد مارتن. لكن ما يهم ان ماركيز الروائي هو ظاهرة نادرة من ناحية جمعه بين الكتابة والنجومية. وهو ايضا كاتب جاد لكنه كاتب شعبي على غرار تشارلس ديكنز وفيكتور هوغو وارنست هيمنغوي، فكتبه تباع بالملايين وصورته وتعامل الاعلام معه يشبه تعامل الاعلام مع نجم او لاعب كرة او نجم سينمائي. واصبح منذ نيله جائزة نوبل عام ١٩٨٢ اشهر روائي تمنح له في العقود الاخيرة. وماركيز مشهور ومعروف في كل انحاء امريكا اللاتينية، وهي القارة التي قدم لها عالم رائعته التي دارت احداثها في ماكوندو ويعرف في القارة باسم غابو مثل نجم السينما الصامتة تشارلي او لاعب الكرة الاسطورة بيليه. ومع انه يعد واحدا من اشهر اربعة او خمسة شخصيات في القرن العشرين الا انه ولد في بلدة تقع وسط لا مكان سكانها بضعة آلاف ومعظمهم من الاميين، شوارعها غير معبدة بلا اسماء ومن دون نظام تصريف مياه صحي اسمها اركاتاكا التي تمثلت في روايته بماكوندو. ويرى كاتب سيرته ان قلة قليلة من المبدعين جاؤوا من ارضية متواضعة وبلدة صغيرة استطاعت ان تعيش زمنها وتحولاته الثقافية والسياسية وشربته حتى التماثل مثل هذه الشخصية. اليوم ماركيز ثري يملك سبعة بيوت في اماكن لا يسكنها الا الاثرياء في خمس دولة مختلفة، وفي العقود الماضية كان بامكانه ان يطلب وفي العادة يرفض ٥٠ الف دولار على مقابلة تلفزيونية او صحافية لا تستغرق كثر من نصف ساعة. وكان بامكانه ايضا ان ينشر اي مقال يرغب في نشره في صحيفة في اي مكان في العالم ويتقاضى مكافأة مالية هائلة لقاءها. وتظهر عناوين رواياته على كل اغلفة الصحف والمجلات في العالم، ويعرف القراء اسماءها مائةعام من العزلة، خريف البطريرك والحب في زمن الكوليرا. واكثر من هذا قضى ماركيز نصف حياته كنجم، يصادق النجوم والمشاهير ويعيش مثلهم، ومن بين اصدقائه رؤساء دول مثل المكسيك، وفرانسوا ميتران، الرئيس الفرنسي السابق، وفيليب غونزاليه وبيل كلينتون. وعلى الرغم من كل الشهرة والثراء والحياة في الاضواء ظل ماركيز رجلا مرتبطا باليسار متمسكا برؤيته التقدمية، داعما للقضايا الايجابية والاعمال البناءة مثل دعمه لبناء معهد لتدريب الصحافيين وصناعة الفيلم. ولأنه ارتبط باليسار فعلاقته مع الرئيس الكوبي فيديل كاسترو ظلت محلا للنقد والجدل على مدى الثلاثين عاما الماضية.

سيرة رسمية متسامح بها

هذه الحياة بين الجماهير والنجوم تضع على كاهل اي كاتب سيرة يود كتاب سيرته مهمة خاصة وتحديات كبيرة. لكن مفهوم الكتابة عنه كروائي ونجم ظل ماركيز يستبعدها ويرفضها لان السيرة الذاتية لا تكتب الا في معرض الموت، فالسؤال الذي تلقاه جيرالد مارتن منه كان لماذا تريد ان تكتب سيرة ذاتية، فالسير الذاتية تعني الموت. ويقول مارتن انه عمل ١٧ عاما على سيرة وحياة ماركيز التي صدرت حديثا في لندن غابرييل غارسيا ماركيز: حياة وانه عندما بدأ بالاعداد لعمله وبالمناسبة جاء في نسخته الاولى في الفي صفحة، لم يلق تشجيعا من احد، واعتقد الكثيرون انه سيفشل في اقناع ماركيز لكن الاخير كان كريما ومضيافا ومتسامحا ومع مرور الوقت كان السؤال المطروح عليه ان كانت سيرته عن ماركيز رسمية فيكون الجواب نعم ولا ولكنها سيرة متسامح بها. وفي عام ٢٠٠٦ تحدث ماركيز نفسه ان مارتن هو كاتب سيرته الرسمي. وهذا الاعتراف جاء بعد الاتفاق المشروط بينه وبين ماركيز الذي قال في اول لقاء تم بينهما عام ١٩٩٠ انه مستعد للمضي في المشروع طالما لم يطلب منه مارتن ان يقوم بالوظيفة اي بالعمل. والعمل الجديد الذي يضعه مارتن بين ايدينا هو ثمرة جهد لقي دعما ومساعدة من ماركيز كلما اقتضى الامر لكن الباحث اجرى نحو٣٠٠ مقابلة مع معارف ومقربين من ماركيز الكثيرين منهم مَنْ لم يعودوا بيننا ولكن غونزاليس او فيديل كاسترو ليسا من بين الذين قابلهم. ومثل كتاب السيرة لم يجد الكاتب هنا دعما عاطفيا من صاحب السيرة، فالتفاعل بينهما كان اخلاقيا لم يحاول فيه ماركيز التأثير على كاتب سيرته أي شيء كتبه بل شجعه على الكتابة قائلا اكتب ما تراه، وأيا كان ما تكتبه هو ما سأكونه. يعترف مارتن ان قصة ماركيز متعددة الطبقات والجوانب قدمها لنا ماركيز نفسه في اكثر من سياق ورواية، ولأن ماركيز نفسه كاتب لا يحب القصص العادية ويشغف بالقصص المرضية والحكايات ذات الطابع الاسطوري، فهو كاتب يحب الرواية ويكره ادوات الاكاديميين مما اضاف تحديات على كاهل كاتب السيرة هنا، ولهذا جاءت حكاية وحياة ماركيز في أكثر من ستمائةصفحة تلاحق طفولة وحكاية آل ماركيز وتدخل في اسرارهم وحكاياتهم. وما يلاحظه القارئ هنا ان حكايات ماركيز، خاصة رائعته مائةعام من العزلة مغروسة في ماضي الكاتب وماضي عائلته، ومهمة مارتن في ملاحقته لحكاية ماركيز الحافلة وكفاحه من اجل الاعتراف به ككاتب على مستوى مهم في عالم الرواية الناطقة بالاسبانية ان كل شخصية من شخصيات رواياته لها علاقات وتجذرات في حياة وواقع ماركيز الذي عاشه. ولم يعد ماركيز نفسه كاتبا او مدفوعا بمهمة كتابة الرواية العظيمة الا بعد ان اكتشف ماضيه، ماضي امه وعائلتها وماضي والده وعائلته، وبعد أن صفى معرفته بالماضي اعتبر نفسه شخصا مؤهلا لكتابة رائعته.

الماضي الاسطوري والسحري

مارتن يعتقد ان كل ما انتجه ماركيز واضفى عليه روايته السحرية مغروس في ماضيه. ولم يكن ماركيز بقادر على خلق عوالمه الروائية الساحرة من دون ان يرحل في المكان الكولومبي ويفهم تجلياته وصراع الاضداد فيه بين المحافظين والليبراليين وبين المركز والهامش وبين الذين يملكون ومن لا يملكون وبين الريف والمدينة وهو كل ما يمثله تاريخ كولومبيا الحديث. كأن ماركيز لم يكن قادرا على خلق عوالمه السحرية من دون ان يفهم مكونات وعناصر التراث الشعبي واغاني وتطلعات وحنين المحرومين. لم يكن ماركيز نبتة غريبة عن الامكنة التي صنعها، فقد عاشها ومنذ ان اعتقد بقدرته على ممارسة التعليق السياسي والمساهمة في الكتابة الساخرة في الصحف الوطنية الكولومبية ان في العاصمة بوغوتا او قرطاجنة لاحقا قرر ان يكرس حياته للكتابة. لكن طريقه لم يكن سهلا ففي لحظة كان عليه ان يواجه والده الحانق عليه بعد ان قرر ترك دراسة القانون والتفرغ للكتابة الذي صرخ قائلا انه سينتهي بأن يأكل الورق.

ماركيز حتى في ايام طلبته في بوغوتا عاش حياة صعبة، حيث كان يضطر للنوم احيانا على المقاعد في الحدائق العامة او في ممرات الصحف التي كان يعمل بها. وفي فترة من الفترات اضطر للعيش في المواخير مع العاهرات، صادقهن وكتب رسائلهن واعجب بعالمهن اسوة باستاذه فولكنر الذي امتدح حياتهن. وقاد ماركيز الذي تشير شهادات مارتن الى انه كان قابعا بحياته ولم يشك، حياة بوهيمية اقرب للصوفية والعزلة، وتقلب من صحيفة الى اخرى وقبل في مرحلة اخرى العمل في مجال الدعاية للموسوعات والنشريات. قرأ ماركيز كثيرا واعترف بتأثيرات هيمنغوي، حيث قرأ له رواية الشيخ والبحر التي وصفها بعد قراءته لها انها تشبه عود ديناميت وتأثر بجويس وشتاينبك وفرجينيا وولف وهم رواد الحداثة في الرواية المعاصرة.

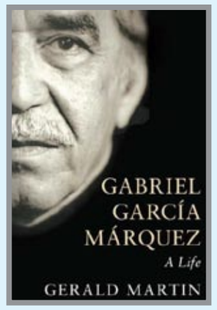

صهر بورخيس ونقد ماركيز

قبل مائةعام من العزلة كان ماركيز كاتبا معروفا بشهرة متواضعة، صحيح انه كتب اربع روايات لكنها لم تكن معروفة على نطاق واسع، واحدة من رواياته عاصفة ورقة لم تنشر الا بعد سبعة اعوام من كتابتها، ١٩٥٥، وشكلت ارضية لمعظم الموضوعات التي طرحها في مائةعام من العزلة وبذر فيها بذور ماكوندو الاولى. في مرحلة من المراحل ارسلها الى بيونس ايرس لكي تنظر اليها لجنة من المؤلفين المعروفين في الادب الاسباني. وكان رئيس اللجنة غوليرمو دي تورو، وهو صهر الكاتب المعروف بورخيس قد كتب رسالة مدمرة لماركيز قال فيها ان روايته لا تصلح للنشر بعد ان وكعادته مل ماركيز من الدورة وتركها ولكنه ظل قريبا من السينما وطور معرفته بها صوتا ونصا وتصويرا واخراجا. كان في ذهن ماركيز اثناء اقامته في نيويورك فكرة اكتشاف اوروبا خلف الستار الحديدي، حيث زار تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وعاد الى روما ومنها الى باريس.

في باريس تكرر مشهد حياته الشاقة الذي عاشه اثناء دراسته الجامعية، فانقلاب عسكري اغلق صحيفته وقطع عنه الشيك الشهري الذي كان يضمن مصاريفه وحياته في اوروبا الغربية. فماركيز وصل الى اوروبا ولم يكن يعرف الا اللغة الاسبانية. في باريس اضطر الى ان يبيع الزجاجات الفارغة والجرائد القديمة كي يواصل الحياة وفي مرة تسول حتى يغطي نفقات رحلته في المترو. وما عوضه ان سيدة فرنسية تفهمت مشكلته وكانت في كل مرة تنقله من غرفة الى غرفة حتى وصل الى اخر غرفة من دون تدفئة. ولم تمنعه الحياة الفقيرة وملابسه الرثة من مواصلة الكتابة. واقام في فترته الباريسية علاقة مع ممثلة اسبانية لم تدم طويلا ولكنه تشارك الحياة الصعبة معها. وفي فترة كان يطلب من الجزارين اعطاءه عظاما كانوا يرمونها كي تقوم تاتشيا بوغوتا، وسافر من العاصمة الكولومبية على متن طائرة من نوع لوكهيد الى الكاريبي ومنها الى نيويورك ومن هناك الى لشبونة وبعدها الى جنيف. كان ماركيز في اوروبا بعد عشرة اعوام من انتهاء الحرب العالمية الثانية حيث كانت اوروبا تتعافى من جراحها، وبدخلت في حرب جديدة هي الحرب الباردة، لم يكتب ماركيز تقارير ذات طابع سياسي اثناء تغطيته للمؤتمر واهتم بانطباعاته عن جنيف والسكان ومناظر الطبيعة التي شاهدها في القطار الذي ركبه باتجاه جنيف حيث لم تتغير عن الطبيعة التي شاهدها في بلاده.

كان ماركيز قد اكتشف السينما اثناء عمله في بوغوتا واعتبر الفيلم بمثابة جنس ادبي والسينما كونها اداة انسانية وحمل موقفا عدائيا تجاه سينما هوليوود التجارية مع انه كان معجبا بتشارلي شابلن وارسون ويلز باعتبارهما استثناء. وبعد نهاية المؤتمر ركب القطار الى روما وفي ذهنه مشروع زيارة مدينة الصناعة السينمائية سينيستا حيث سجل في دورة للاخراج السينمائي، وهذا اسمها بصناعة طبق من الشوربة. هذه الحياة الصعبة لم تمنعه من مواصلة الكتابة والبحث عن افكار لروايات اخرى، فحالة الانتظار والاحباط ادت لولادة رواية ليس لدى الكولونيل من يراسله.

ماركيز العربي

عاش ماركيز في باريس اثناء الثورة الجزائرية ولان ملامحه كانت تشي بانه عربي او جزائري كثيرا ما كانت الشرطة الفرنسية تلقي القبض عليه ويركله عناصر الشرطة ويبصقون عليه، وكان يجد نفسه في زنازين مكتظة بالجزائريين المعتقلين، ومن اجل اثارة وازعاج حرس السجن كان ماركيز ورفاقه الجزائريون يقضون الليل في الغناء والسب على الحرس التافهين. وكتب ماركيز قائلا انه تعرف لاحقا على ظروف الثورة الجزائرية وحرب التحرير من احد اصدقائه الجزائريين، وهو طبيب اسمه احمد طبال.

زار ماركيز موسكو واكتشف في زيارته تناقضات النظام الشيوعي وفي اثناء زيارته لضريح ستالين ولدت لديه فكرة كتابة رواية ظهرت فيما بعد بعنوان خريف البطريك. كما زار لندن حيث كان يرغب في تعلم اللغة الانكليزية. وعلى الرغم من انطباعه الغامض عن سكانها الا ان المدينة منحته ما قال عنه ذلك الحبل السري الذي يجعل منها مدينة مثيرة للكاتب وخياله. يتابع مارتن رحلة ماركيز الى كاراكاس في فنزويلا والمكسيك وعلاقته بالثورة الكوبية وفيديل كاسترو.

قصة مائةعام من العزلة

ويقدم لنا صورة عن ولادة رائعة ماركيز مائةعام من العزلة والتي ولدت في سحب زرقاء من الدخان، حيث اغلق ماركيز على نفسه الباب ولم يكن يهتم بشيء في البيت سوى ارسال الاولاد للمدرسة، وترك الامر لزوجته مرسيدس التي باعت كل مقتنيات البيت الكمالية لضمان استمرار حياة العائلة فيما تراكم اجر البيت وتضاعفت فاتورة الجزار والبقال. ويقول مارتن ان مرسيدس التي تزوجها ماركيز في عام ١٩٥٧ لم تتجرأ على بيع جهاز تسجيل لأن ماركيز كان يحب سماع الموسيقى.

يقول مارتن ان ماركيز ومرسيدس بعد ان تأكدا من وصول النسخة الرئيسية من الرواية الى بيونس ايرس، قاما بحرق كل الاوراق المتعلقة بها. كانت الرواية جزءا من محاولة ماركيز الامساك بطفولته وذكرياتها الغنية وبدلا من الحديث عن طفولته قام باستعادة الحياة في اركاكاتا اي ماكوندو. ومن اكثر اللحظات الدرامية التي واجهها ماركيز عندما قتل اوريليانو بوينديا في الفصل الثالث عشر، حيث بكى وندب بعد ان قتل اهم شخصية من شخصيات الرواية. كان العالم الادبي ينتظر ولادة هذا العمل، فاجزاء منه قرئت في مناسبات ادبية، وسكرتيرته التي صححت وشذبت العمل وطبعته كانت تأخذ كل فصل يتم الانتهاء منه الى اصدقائها وتقرؤه عليهم. في احدى المرات كانت بيرا وهذا اسمها والعمل سيغيبان عن الوجود بعد ان تجنبت حافلة كانت ستقتلها. مائةعام ادخلت ماركيز عالم الاعتراف الادبي. وبعدها جاءت نوبل التي رشح لها اكثر من مرة. في عام ١٩٤٨ كتب ماركيز مقالا عن استاذه ونموذجه الادبي فولكنر لم تمنح له جائزة نوبل وعندما منحته الاكاديمية الجائزة كتب قائلا انها جاءت متأخرة. في عام ١٩٨٢ عندما منحته الاكاديمية الجائزة كان مناحيم بيغن واريل شارون قد اجتاحا لبنان، فكتب قائلا انه يجب على الاكاديمية ان تمنحها جائزة نوبل الموت. مارتن يقدم تفاصيل حياة ماركيز ونجوميته التي لا تزال وتحوله لظاهرة ادبية جمعت بين الادب الجاد والسياسي والصحافي والشخصية العامة، صديق الكبار والناس العاديين. والسر ان ماركيز احب الحياة وعاشها، وفوق هذا احب الحكاية الجميلة ولهذا كثيرا ما اشار الى اعجابه حتى التبجيل بقصص الف ليلة وليلة وقصة دراكولا. وبالنتيجة يقترح مارتن ان الادب الإسباني قدم في عصوره الوسيطة قاصاً وحكواتيا اسمه سرفانتيس وماركيز هو سرفانتيس معاصر. المهم في قصة ماركيز وتشعباتها الكثيرة ان خلف الصحافي الناجح كان هناك قاص جميل يحب المبالغة والحكاية الجميلة، واكثر من هذا يملك صبرا على الواقع وتحديا له بقدرية المكافح وليس قدرية الخانع، فمن بوغوتا الى قرطاجنة برنانكويلا وكركاس وباريس ونيومكسيكو تمسك ماركيز بحلم الكاتب العظيم وانتهى اليه. لقد صنع ماركيز اسطورته هذه بالانفتاح على الحياة ففي اشد حالات فقره وعوزه كان يجد فرصة للرقص والغناء والعزف على الغيتار، فعل هذا في بوغوتا وفي باريس التي كان حذاؤه فيها مخرما تتسرب اليه المياه وقميصه رثا وجسده نحيلا.

عن كتاب ماركيز سيرة حياة تاليف جيرالد مارتين ترجمة الدكتور محمد درويش

مع اولاده وزوجته مرسيدس

حسب الله يحيى

غابرييل غارسيا ماركيز: الواقع وابعاده

(١)

في حديث للكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز،تساءل عن معنى منح سفاح مثل(بيفن)جائزة نوبل للسلام،في وقت تسلم فيه ماركيز جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٢.

وكان ماركيز قد وصف لجنة جائزة نوبل بأن(هؤلاء المسنين الذين يتخذون القرار،هم أشبه بعصابة ترسم خططها في الظلام الدامس أو أن مهمة هؤلاء تقتصر بعبارة واحدة:ترجمة القرار الذي تتخذه وكالة المخابرات المركزية إلى اللغة السويدية)ووجد في الجائزة(تهمة مروعة).

فكيف ناقض نفسه ووافق على إستلام الجائزة،مع أن علاقته بالمال:(هي علاقة حاسة واحدة فقط..اللمس).

وهل يمكن الفصل بين جائزة نوبل للسلام وجائزة نوبل للأدب،وهل يمكن وضع الحائزين على هذه الجائزة في موقع واحد؟

تعد جائزة نوبل من اهم الجوائز العالمية،وعلى الرغم من أن صاحبها نوبل السويدي(١٨٣٣-١٨٩٦)قد إخترع الديناميت وأحساسه بانه يتاجر من أجل موت الكثير من البشر،دفعه ليجاد هذه الجائزة كبديل لما فعله وضرورة تقديم خدمات مكرسة لخدمة البشرية..

الا أن لجان توزيع الجوائز كل عام في بوردا المحرر الادبي لصحيفة(المتفرج) تعليقا يصر فيه على((إن الجيل الادبي الجديد في كولومبيا يتسم في مجموعة بالعقم..وقرأ ماركيز هذا التعليق الرؤيوي وللتو إستيقظ في نفسه شعور بالتضامن مع جيله الادبي..وجلس لكتابه اول إقصوصة له بعنوان(للمرة الثالثة خضوعا للقدر)وأرسلها لإدوارد الذي نشرها بصورة مبرزة معتذرا عن تعليقه السابق).

من هنا تبدأ كتابة ماركيز متحدية،متجاوزة لما هو مألوف وتقليدي ومسطح في الحياة الادبية الكولومبية..مستفيدا من تجارب كافكا في قلب الواقع،ومن فوكنر في تقديم حياة الناس المسحوقين في أمريكا ومن فرجينيا وولف في التعامل مع الزمن..وأخذ يسعى لكي يشق سبيله الفني بخصوصية..لكن ظهور طابع العزلة في معظم أعماله القصصية جعل البعض يجدون في هذه العزلة (كالضياع في أعمال كافكا والمأساة في أعمال جويس والألم في أعمال دستوفسكي..)ويرى البعض إن روايته:(مئة عام من العزلة) ماهي إلاقراءة في الاعمال الاصلية لكتاب أمريكا اللاتينية.

وأن تتمتع روايته بصفة السحرية،لأن الرواية هي نتاج الخيال وليس الملاحظة الواعية لوحدها..فلسنا وحدنا لنتخيل الاشياء بطريقة سحرية بل الخيال نفسه يقوم بعمله بطريقة سحرية، لايمكن سارتر أن يتسلم الجائزة بأن(الجائزة أعطيت لمشبوهين كثيرين).

وعام ١٩٨٢ فاز ماركيز بجائزة نوبل وكان فوزه موضع إهتمام الاوساط الثقافية العربية والعالمية،بسبب مواقف ماركيز الايجابية المؤيدة لحركات التحرير في العالم الثالث ووقوفه الى جانب قضايا الأمة العربية والتنديد بالاحتلال الصهيوني لفلسطين..ولمعرفة العرب والعالم لأعماله الروائية التي لقيت أصداء بين المثقفين وجهود القراء على حد سواء، ويعد بابلو نيرودا رؤية ماركيز(مائة عام من العزلة)، أهم رواية كتبت بالاسبانية بعد رواية سرفانتس(دون كيشوت).

فما تفاصيل حياة ماركيز وما أفكاره وأعماله الروائية التي امتدت آفاق الاهتمام بها في كل مكان؟

ولد ماركيز عام ١٩٢٨في قرية(أراكاتكا) في كولومبيا بامريكا اللاتينية،وكتب أعماله القصصية باللغة الاسبانية..

وتعلم من جديه أثناء طفولته عوالم الواقع والسحر والخرافة من خلال الحكايات التي كانا يقصانها عليه،وعاش سنوات الحزن والفقر مع زوجته(مارسيدس) في حي محروم من أبسط الحقوق الانسانية..

في عام١٩٤٧كتب الروائي إدواردو ثلاميا بوردا المحرر الادبي لصحيفة(المتفرج) تعليقا يصر فيه على((إن الجيل الادبي الجديد في كولومبيا يتسم في مجموعة بالعقم..وقرأ ماركيز هذا التعليق الرؤيوي وللتو إستيقظ في نفسه شعور بالتضامن مع جيله الادبي..وجلس لكتابه اول إقصوصة له بعنوان(للمرة الثالثة خضوعا للقدر)وأرسلها لإدوارد الذي نشرها بصورة مبرزة معتذرا عن تعليقه السابق).

من هنا تبدأ كتابة ماركيز متحدية،متجاوزة لما هو مألوف وتقليدي ومسطح في الحياة الادبية الكولومبية..مستفيدا من تجارب كافكا في قلب الواقع،ومن فوكنر في تقديم حياة الناس المسحوقين في أمريكا ومن فرجينيا وولف في التعامل مع الزمن..وأخذ يسعى لكي يشق سبيله الفني بخصوصية..لكن ظهور طابع العزلة في معظم أعماله القصصية جعل البعض يجدون في هذه العزلة (كالضياع في أعمال كافكا والمأساة في أعمال جويس والألم في أعمال دستوفسكي..)ويرى البعض إن روايته:(مئة عام من العزلة) ماهي إلاقراءة في الاعمال الاصلية لكتاب أمريكا اللاتينية.

وأن تتمتع روايته بصفة السحرية،لأن الرواية هي نتاج الخيال وليس الملاحظة الواعية لوحدها..فلسنا وحدنا لنتخيل الاشياء بطريقة سحرية بل الخيال نفسه يقوم بعمله بطريقة سحرية، لايمكن سارتر أن يتسلم الجائزة بأن(الجائزة أعطيت لمشبوهين كثيرين).

وعام ١٩٨٢ فاز ماركيز بجائزة نوبل وكان فوزه موضع إهتمام الاوساط الثقافية العربية والعالمية،بسبب مواقف ماركيز الايجابية المؤيدة لحركات التحرير في العالم الثالث ووقوفه الى جانب قضايا الأمة العربية والتنديد بالاحتلال الصهيوني لفلسطين..ولمعرفة العرب والعالم لأعماله الروائية التي لقيت أصداء بين المثقفين وجهود القراء على حد سواء، ويعد بابلو نيرودا رؤية ماركيز(مائة عام من العزلة)، أهم رواية كتبت بالاسبانية بعد رواية سرفانتس(دون كيشوت).

فما تفاصيل حياة ماركيز وما أفكاره وأعماله الروائية التي امتدت آفاق الاهتمام بها في كل مكان؟

ولد ماركيز عام ١٩٢٨في قرية(أراكاتكا) في كولومبيا بامريكا اللاتينية،وكتب أعماله القصصية باللغة الاسبانية..

وتعلم من جديه أثناء طفولته عوالم الواقع والسحر والخرافة من خلال الحكايات التي كانا يقصانها عليه،وعاش سنوات الحزن والفقر مع زوجته(مارسيدس) في حي محروم من أبسط الحقوق الانسانية..

في عام١٩٤٧كتب الروائي إدواردو ثلاميا بوردا المحرر الادبي لصحيفة(المتفرج) تعليقا يصر فيه على((إن الجيل الادبي الجديد في كولومبيا يتسم في مجموعة بالعقم..وقرأ ماركيز هذا التعليق الرؤيوي وللتو إستيقظ في نفسه شعور بالتضامن مع جيله الادبي..وجلس لكتابه اول إقصوصة له بعنوان(للمرة الثالثة خضوعا للقدر)وأرسلها لإدوارد الذي نشرها بصورة مبرزة معتذرا عن تعليقه السابق).

من هنا تبدأ كتابة ماركيز متحدية،متجاوزة لما هو مألوف وتقليدي ومسطح في الحياة الادبية الكولومبية..مستفيدا من تجارب كافكا في قلب الواقع،ومن فوكنر

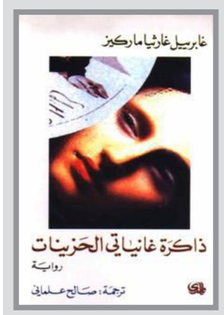

اساسيا في صفحات الرواية.. والزمن يتداخل مع بعضه حتى لنحس بانه زمن طويل لاتساؤل له بل هو مرتبط بمساحة معينة يسعى ماركيز للدوران حولها.

وانحلال سلالة بونديبا،كانما هو حالة طبيعية لفترة عجزت عن التقدم..وكان تدخل شخصية الغجري الأسيوي يشكل اسهاما في الكشف عن توقف ال بونديبا عن العطاء..ومجيء الجيل الأخر كان هو الأخر يشهد انحلالا خلقيا عبر الابن-ابن خوزيه..

اما الجيل الثالث فيظهر من خلال شخصية انتهازية تدعى(اركاديو) تسهم في الانحلال..حتى اذا بدأ الجيل الأخر وجدنا أوجها جماعية نتبينها من خلال تظاهرات العمال ضد الشركة المستغلة لمزارع الموز..

انه جيل قوي يخرج من ازمة شديدة عديدة ليصل الى حالة تواجد بشري خلاق.

وترى الناقدة بريجيت غالفادا بأن:زمن التاسيس(أو العصر الذهبي)يحدث على ثلاث مراحل رمزية في حد ذاتها:الخطيئة الاصلية والهجرة،وحلم الاستقرار،والتقدم وتجربة الحدود).

وتضيف بأن:(المراجع الثقافية الاساسية في(مائة عام من العزلة)هي الكتاب المقدس وهوميروفترة(فترة الكشوفات الكبرى.. يعد عصرنتها فعلى سبيل المثال لدينا:- موضوع الانتقال عن الفوضى(الطبيعة الوحشية)الى الكون(المدينة)-والهجرة والكوارث مثل طاعون الارق والحروب الاهلية والطوفان والعاصفة النهائية..

بعض الشخصيات ايضا تبرز صلة وثيقة بتلك الكتب-كأورسولا التي تتحول في نهاية حياتها الى ملاك-واوريليانو بونديا الشاب الذي يعيد تمثيل مشهد المسيح وسط الاطباء لتفسير انحدار ماكوندو).

من هنا نتبين ان هذه الرواية تنشغل على مستويات عدة واقعية وميثولوجية وخيالية بشكل متماسك ومترابط مع بعضه، برغم أن ماركيز كتبها خلال(٢٠) عاما وتركها امامنا بشكل بانورامي قريب الى المشاهد السينمائية المتحركة والمنطلقة من أبعاد وزوايا عدة فهي ليست ملحمية كما هي عند بريشت وليست واقعية طبيعية كما نراها عند زولا.. مضافا اليها اهتمام ماركيز ببناء عالم جديد متخيل يواكب العالم الاجتماعي القائم ويتفاعل بشكل متصاعد ومترابط واقعيا وخياليا.

انه يبدأ من الواقع يلملمها ثم يعيد صياغة واقع موضوعي من خلالها مستفيدا من هذه الجذور البكر في الانتقال الى عالم اسطوري وفنطازي..وهذه هي خاصية ماركيز في كتابة(مائة عام من العزلة)التي نجد فيها قرية(ماكوندو)الجزء الصغير من هذا العالم يتحول الى هم يواجه سكان عدد من القرى ومدن العالم،انها الالمكان والاالزمان ولذلك تبرز عالميتها..وهي وان ظهر اليأس في سايكولوجية عدد من شخصياتها واجوائها فلان ماركيز لايريد أن يقدم لنا بشرا يتمتعون بالمثالية وعدم السقوط،وانه يسقط نهايات عدد من الناس ثم يعيد الوعي والمواقف الحاسمة ليستدر حالة اليأس الى نوع من التفاؤل وحالة من التجدد في بعث الحياة.

ولكن الملفت للنظر أن غابرييل غارسيا ماركيز يكرر نفسه، ويعيد كتابة المضامين التي كان قد تناولها من قبل في قصص قصيرة،فقصة(غريق هو الوسيم في العالم)يعيد سرد وقائعها علينا في (مائة عام من العزلة)ص٧١ فالغريق المجهول الذي لعب بجثته الاطفال واحاطت به النساء تحول الى رمز للقرية بعد أن اطلق عليه اسم خاص..وقصة:(الحكاية العجيبة والمحزنة لايريندير السائجة وجدتها الشيطانية)وجدنا أحداثها واردة في رواية (مائة عام من العزلة)ص٥٤.

ولا نعلم ان كان ماركيز قد نشر تلك القصص قبل كتابة الرواية أم بعدها..

وهل انه وجد متسعا لاحتواء روايته عليها اكمالا للاحداث ام أن عنصر التكرار والمراجعة هي التي جعلت ماركيز يعيد الحديث عنها ليس تفصيلا وانما بذات الصيغة وذات الاحداث في صفحات الرواية؟!

انها مسألة خطرة أن يكرر الكاتب نفسه. ان يعيد وقائع ماكتبه!

(٢)

عن الحب وشياطين أخرى

من المؤكد ان الكاتب المثير للجدل،كاتب على درجة من الاهمية،سواء اتفقنا أو اختلفنا مع طروحاته،المهم انه أثار فينا فاعلية الجدل،وله شرف اقتحام قناعات معينة كانت مزروعة فينا..الامر الذي جعلنا نتنبه ونراجع معرفتنا مراجعة متانية.

وغابرييل غارسيا ماركيز،واحد من أبرز المبدعين الذين أثاروا جدلا بشأن الموضوعات الساخنة والحميمية التي طالعتنا بها أعماله الروائية والقصصية وأفكاره الواردة في حواراته الصحفية.

وفي رواية حديثة له بعنوان:(عن الحب ترجمها عن الاسبانية يواصل ماركيز بتوظيف الميثولو نصه الادبي،فمن يتعلق بالتنقيب ف القديمة،تكتشف(نحاسي كشيف إخراجها كامل كانوا كلما سحـ طولا وغزارة، الى أن خرجـ المغروزة في القبر الحجري،وتتساءل اسم:سييرفا ماريا،تبدأ تفاصيل هذه الرواية،حيث تبين ان جديلة هذه الطفلة بطول ٢٢م و١١سم،وانها أصيبت بعضة كلب مسعور..مما يجعل عائلتها الارستقراطية تدعوها الى دير يهدف استخراج الارواح الشريرة هنا تعني انها مسوسة بالشياطين..لكننا نتبين بعدئذ ان هذا الشك القائم على قوة خفية شريرة كان مجرد وهم كبير..ذلك إن هذه القوة الشرسة، لم تكن سوى مجموعة تعمل في الدير نفسه، تذيق الطفلة شتى صنوف التعذيب بهدف اخراج شياطين وهمية خلقتها ذهنية متخلفة، حاولت عائلتها ان تطرد شرا موهوما من طفلة بريئة صادف ان عضها كلب..الامر الذي جعل هذه العائلة تحمي مصالحها من أحد أعضائها..وتخلت عنه بسهولة حفاظا على امنها وسلامتها قبل العناية بنقاء طفلة!

لكن ماركيز لم يبق على هذا العالم المحفوف بالشر والانانية ومثله المتخلفة وخوفه الموهوم،بل وضع الطفلة في موقع وجدت فيه ضالتها في الراهب كايتانو الذي وضع في مهمة معالجتها..

وعلى الرغم من كبر سنه بالنسبة الى سنها..كان هناك حب يزهر وعقل ينير هذه العلاقة التي كانت محاطة بشياطين بشرية حقيقية.. تتبين أمر هذا الحب.. فتبعد بين الطفلة والراهب..حتى يعم الشر..وتموت الطفلة..في سريرها، وعيناها تشعان، وبشرتها كانها بشرة طفل حديث الولادة، كانت جذور شعرها قد نبتت كانها فقاعات في الرأس الحليق، وبدأ شعرها ينمو شيئا فشيئا..بينما لم يعرف مصير كايتانو الذي طرد من الدير، ولعل مصدر الجدل والاثارة في هذه القصة القصيرة،لايكمن في موضوعة الحب التي تناولها ماركيز حسب.. فهي الى جانب اهميتها وعذوبة تناولها، وحضورها في متعة وذاكرة المتلقي للوهلة الاولى، فان هذه الموضوعة على نحو أخر.. تثير انتباهات عديدة وابعاد فعالة وذلك من خلال تعميم عمليات القمع المختلفة في كل زمان ومكان.. وقد تكون محاكم التفتيش الاسبانية (١٢٤٢) واحدة من هذه العمليات التي انتشرت في دول امريكا اللاتينية التي ينتمي اليها ماركيز نفسه.. حيث يدان المرء بسهولة بتهمة الالحاء.

من هنا نجد ماركيز يتخذ قصة الحب بصورتها الانسانية المثلى وجاذبيتها الأخاذة،لينقلنا الى جدل أغنى واعمق وادل بين قوى الحب وقوى الكراهية.. قصة سييرفا ماريا بجديلتها النحاسية اللون الطويلة الى حد اللامألوف.. باعوامها الاثني عشر،وشياطينه الموهومة.. حبها للايمان الذي يجسده الراهب الثلاثيني عمرا:كايتانو..يجعلنا هذا الحب، ندرك اهمية المعطى الانساني بتجاوز العمر الزمني، بتجاوز شر يعتقد انه يلازم الطفلة؛ وايمان مقترن بالراهب، يتجاوز التحام الارستقراطية الاجتماعية والارستقراطية الميثولوجية المقترنة بتحل اشكالاته في شهر آذار، عن المعضوضين من شهر كانون ا بعد ان خباهما لسحر،اما الثالث الاسبوع الثالث). غرائبية..لا تجد لا بما يماثلها من ماركيز،لكن نتيجة صاحبه الى حلول منطقية سليمة،بل يوقعه في اشكالات جديدة ومأزق لاحقة يكشف عنها العالم الروائي لماركيز.

واذا كان ماركيز قد وضع في مصطلح روايته هذه مقطعا من حكم:توما الاكويني جاء فيها:(يبدو ان الجدائل لابد لها من ان تنبعث،ولكن أقل بكثير من أجزاء الجسد الاخرى،وتوفيقي في هذا الاختيار الملائم لطبيعة هذا العمل الروائي الفذ،فان جدائل سييرفا ماريا،كانت منذورة للكنيسة..حتى تكتسب صاحبتها السعادة والفال الحسن،فاذا بها ترحل مع الجسد كله رحلة الموت الابدية..وجاء الانبعاث المتخيل للاكويني وماركيز معا،انبعاث هو مدعاة للتامل الجليل اكثر من أي شيء أخر.

(٣)

حكاية بحار غريق

بعد رواية(مائة عام من العزلة)التي ترجمها الى العربية:د.سامي الجندي وانعام الجندي،تألق اسم غابرييل غارسيا ماركيز،أو صار قراء العربية يبحثون عن ترجمة لبقية اعمال ماركيز وادباء الطليعة في أمريكا اللاتينية..

وظهرت في عدد من الصحف والمجلات العربية عدد من القصص القصيرة التي كتبها ماركيز ثم ظهرت روايته(ليس

◀

GABRIEL GARCIA MARQUEZ

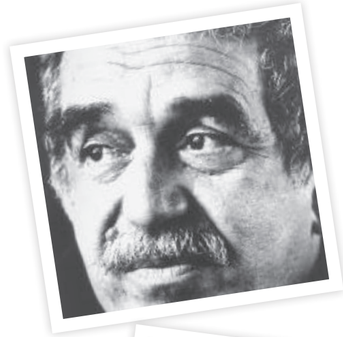

للجنرال من يجيب) وترجم له عمل ثالث هو رواية (حكاية بحار غريق) ترجمها:محمد علي البوسني.. التي نحن بصدد الحديث عنها.

(حكاية بحار غريق)تذكرنا منذ البداية بثلاثة اعمال أدبية مهمة هي: (موبي ديك) لهرمان ملفيل، و(الشيخ والبحر) لهمنغواي، و(تحت سماء الجليد) لجان لندن ذلك ان هذه الاعمال تقدم لنا صراع الانسان مع قوى الطبيعة المختلفة وانتصار الانسان عليها وتاكيد قدرته وبسالته في مواجهة المصاعب والدأب على معانقة البقاء.

ومنذ السطور الاولى لعمل ماركيز (ظل عشرة ايام يصراع الامواج على سطح عبارة من خشب دون طعام أو شراب، نودي به بطلا وطنيا،وقبلته ملكات الجمال واغنته الدعاوة،ثم شجبته الحكومة ونسي الى أبد الابدين).

نعرف باوجه اللقاء مع ملفيل وهمنغواي ولندن،ونعرف ايضا باوجه الاختلاف والتميز كماركيز في(حكاية بحار غريق) لايقدم حالة الصراع وحدها من أجل ان تكون هناك بطولة،انه يدين هذه البطولة القائمة على المصادفة لا الاختيار، والتوقع بدلا من التأمل: (لم اقم بأي جهد كي اصير بطلا، كانت كل جهودي عبارة عن رغبة في النجاة).

والبحار الغريق (لويس اليخاندرو فيلاسكو) يقدمه لنا ماركيز بوثائقية محددة بزمن(٢٨شباط ١٩٥٥) يوم سقوط ثمانية بحارة كانوا على متن مدمرة تابعة للاسطول البحري الكولومبي في البحر المسمى(بحر الانتيل) وهي باتجاه قرطاجنة ومغادرتها ميناء الاباما.. وكان فيلاسكو الوحيد الذي نجا من الزوبعة والغرق بعد ان تعلق بعبارة خشبية وظل طافيا من دون زاد او شراء لمدة عشرة أيام..حتى وصل الى أرض مجهولة، ثم اقتيد الى قرطاجنة.

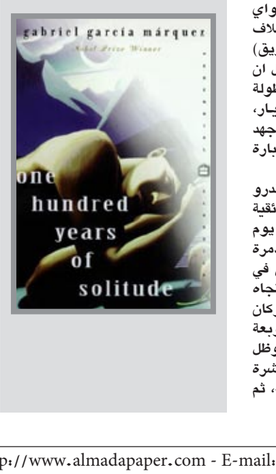

وكانت مشكلة ماركيز مع هذه الحكاية تتمثل في (اقناع القارىء بصحتها) و(هناك كتب ليست ملك من يكتبها، وانما هي ملك اولئك الذين يجعلونها ممكنة بتجربتهم الأليمة).

ومن هنا رفض فيلاسكو كل الضغوط التي كانت تريد منه تشويه القصة،ولهذا السبب بالذات فصل من عمله في البحرية..

والتوحد في (حكاية بحار غريق) حالة تسعى الى اللقاء بالآخرين،ى الانعزال عنهم،فالغريق فيلاسكو كان يبحث عن زملائه ويحاول سحبهم الى عبارته، وعندما فشل راح يبحث عن نقطة تقتل هذا التوحد مقترنا بالزمن في ساعات ظلت من ممتلكاته التي راح يصونها.. وأسماك القرش والدولفين والطائرة البعيدة، والقميص المفتوح الازرار والجاهز للتلويح.. والمجداف المكسور والنوارس المحلقة، والاستسلام لها لكي يقبض على أحدها،فيقرّز منها ومن نفسه، فقد تذكر قول بحار متمرس كان يحدثه دائما بان (النورس بالنسبة للبحار هو بمثابة أرض تلوح في الافق،قتل النورس ليس أمرا جديرا بنا)..واكل سمكة نيئة،وتخاصم مع سمكة قرش من أجل تلك السمكة الصغيرة، وابتلعت سمكة القرش نصف مجذابه عوضا..

واكتشف اسفل العبارة قطعة من حطب العرق،فاخذ يقطعها، وتاه لكن جرحه كان منقذا له.. (ألمني الجرح.. وكان سببا في إنقاذ حياتي، كنت كالتائه بين الظلمات ولقد جعلني وخز الجرح أسترجع صلتي بجسدي).

الجرح هنا كان منبها، فعلا، يقظا.. وحصنه ضد ما كان يحس بان سراب اليابسة عند حدود بصره.. فقد كان اليأس قد برح به: (فضلت العودة الى الرغبة في الموت على السقوط فريسة الجنون تحت تأثير الاوهام) ولكن اليابسة كانت حقيقة.. وعندما وصلنا عومل كبطل، و(لو كان معي في الطوافة مؤونة من الماء والبسكوت المعلب جيداً من أجل صيانته وبوصلة وأدوات صيد، لوصلت حياً، بالتاكيد كما أنا الآن، باستثناء هذا الفارق، وهو انهم ماكانوا ليعاملونني كبطل).

وهذه البطولة التي إختشها البحار،كانت سباقة لمهمته في المدمرة، فقد كانت به رغبة الى ترك عمله وان تكون هذه رحلته الاخيرة،وتردد في التصريح لخطيبته فيما كان قد عزم عليه.. ومصاعبه التي جعلت منه بطلا، وارادت السلطة استثمارها لأغراضها، والشركات أرادوا من مشاقها..دعاية لساعات معينة وحذاء كان يرتديه..حتى صار سلعة نادرة واغتنى، لكنه كان يبحث عن نجاته،مثل ذلك الصحفي الذي تنكر بزي طبيب ليعرف تفاصيل قصته على حقيقتها، بعد أن منع من الحديث وهو في لحظات الانقاذ والرعاية..فالواقع هو أنه بحار لا يريد لمهمته ان تتحول الى سلعة،وإنما هو بحار كان يعاني مشاق البحر والعاصفة والجوع والعطش..وكل ذهنه ينصرف الى النجاة فحسب..بعد وقوعه في فخ العمل على متن مدمرة تحمل بضائع كولومبية مهربة..وقتل بطولة اريد اقترانه بها..

ان ماركيز إذ يقدم هذه الرواية- الوثيقة، يعطينا ذلك الحلم الكبير في ان يكون للرواية ولكل عمل إبداعي خلاق قيمته العليا.. في تحديد موقف من الطبيعة والناس والحياة..من هنا كان رواية (حكاية بحار غريق) عملاً فذا، ومتالقاً ومتميزاً، وبرغم انه عمل موجز نسبة الى الاعمال الادبية الثلاثة التي أشرنا اليها، يبقى عملا يقف الى جانبها، ويشكل معها ذلك الصدى العميق لبحار عاش حكايته، ورفض الاستسلام لبطولة اقترنت به.. وفضل ان تكون بطولته..الحقيقية وحدها.

(٤)

رائحة الجوافة

سنة حصوله على جائزة نوبل للاداب عام ١٩٨٢وغابرييل غارسيا ماركيز،يثير إنتباه النقاد والقراء في العالم أجمع، بعد الى اللغات الحية، وأعيد طبعها مرات عدة.

وأحدث كتاب صدر باللغة العربية لماركيز هو (رائحة الجوافة) ويقوم هذا الكتاب على حوارات الكاتب الكولومبي بيلينيو مندوزا كان قد أجراها مع ماركيز - دار منارات/الاردن/ط١/١٩٨٩ - والكاتب يعرفنا بتجربة الكتابة عند ماركيز ويعكس مواقفه على نحو مباشر، خال من الانغلاق والتسطيح، وانما يقوم على وعي ناضج ورؤية محددة.

ان ماركيز الذي كان قد عالج في (خريف البطريك) موضوع الحاكم المستبد الذي يعاني من مرحلة اليأس الاخيرة، ومن قسوة العزلة والانفراد من خلال إبداع الصور المغرقة في الخيال مثل إجبار الامريكيين على منحهم البحر وفاء لديونه، ماركيز هذا لايتوانى عن تقديم روايته (مائة عام من العزلة) لتكون هروبا من الواقع،كما يقول بعض النقاد الذين ينقل لنا المترجم فكري بكر محمود آراءهم.

وفي مسيرة حياة ماركيز تكون بصمات جده الاكثر وضوحا وأهمية وكذلك زوجته (مرسيدس) التي لم يختلف معها طوال (٢٥) عاما وذلك السر يكمن أننا (مازلنا ننظر الى الاشياء بالطريقة ذاتها التي كنا ننظر بها للاشياء قبل الزواج، فالزواج كما يقول ماركيز: مثل الحياة ذاتها صعب للغاية للدرجة التي يتعين على المرء ان يبداه منتعشا كل يوم وان يواصل هذا الاحساس طوال الحياة، أنها معركة مستمرة وأحيانا تستنزف المرء ولكنها تستحق ذلك في النهاية).

وفي نظرية للكتابة يقول ماركيز: (الآن يحالفني الحظ إذا كتبت فقرة واحدة جيدة في يوم بأسره، فبمرور الوقت تصبح عملية الكتابة مسألة مؤلمة للغاية).

وهذا هو السبب الذي يجعل ماركيز ينظر الى الكتابة كمتعة ومعاناة معا، فهو يفكر نستطيع ان نتعلم الكلام عندما نصبح كبارا)الكاتب ينبغي ان يتقن حرفته ويعرف اللغة كأداة من أدوات عمله.. أن يحمل خزينا من الثقافة والتجارب، فالموهبة وحدها لاتكفي لابراز عمل ابداعي متميز..

ويؤكد ماركيز قائلاً:(ليس ثمة سطر واحد في رواياتي لا يقوم على اساس الواقع، وهذا التاكيد ينفي ماذهب اليه النقاد من تفسيرات مغايرة لما قدمه ماركيز نفسه ولا ينفي ماركيز اعادته قراءة كونراد واكسوبري، وروايات عدة لتولستوي:(الحرب والسلام) أفضل رواية على الاطلاق. ولكنه في نفس الوقت يعلن: (انني..احاول دائما الا اماثل اي شخص آخر،كما احاول دائما ان اهرب من المؤلفين الذين احبهم حتى لا اقع في مصيدة تقليدهم.

الى جانب اهتمام ماركيز بفوكنر ورامبو وكافكا وسوفوكليس وغيرهم،لاينفي بان اهتمامه بالادب قد نما(من خلال الشعر الرديء، الشعر الشعبي..) فقد تعلم منه ان يكتب ما هو أغنى وافضل وأعمق..

هذا الكتاب، غنى على صعيد التجربة والرؤية والموقف لدى ماركيز..انه يتجه لمنظور يقول: (بامكان المرء أن يحول كامل غموض المدارات الاستوائية الى رائحة جوافة عطنة).

(٥)

خبر إختطاف ماركيز!

هل تشكل الشهرة خطر على المبدع وعلى إبداعه؟

قد نواجه مثل هذا السؤال أو مايماثله ونحن ننتهي من قراءة أحداث رواية ترجمت الى العربية لماركيز بعنوان: (خبر إختطاف).

فالجميع-قراء ونقاد-يتفقون على مكانته الابداعية المرموقة التي استحق عنها وبجدارة جائزة نوبل..

الا أن ماركيز لا يبدو في هذا العمل الروائي، في حالة اختلاف تام عن كل ماقرأناه واعجبنا به من قبل..الامر الذي يجعلنا نعتقد أن الشهرة التي امتلكها قد جعلته يكتب بعجاجة لم نعهدها فيه، ولم نألفها في اعماله الابداعية السابقة.

فهو في(خبر اختطاف) يقدم صورة مكبرة لعملية اختطاف سيدتين من قبل عصابة تعمل في المخدرات وما يصاحب تلك العملية من اشكالات وخفايا لكلا الجانبين - الخاطف والمخطوف- وندرك ان ماركيز يحاول ان يدين العمليات الارهابية سردي روائي، غير اننا ونحن نخلص من هذا العمل الروائي الكبير حجما، لنخلص منه الى نتيجة احادية لا تخرج عن اطار التحقيقات الصحفية المطولة المكتوبة باسلوب أدبي، وهذا يعني ان ماركيز كتبها لأنه يريد ان يكتب، متكئا على شهرته وقيمة اعماله السابقة، وعلى ثقة القراء والنقاد بكل عمل يقدمه، إلا انه يجعل آمالنا تتبدد وهواجسنا تسكن على الرتابة، والاقل الروائي المهبر الذي عرفنا به ماركيز معنيا بالواقع السحري لبلاده، حتى صار اتجاها بارزا في أدب أمريكا اللاتينية..وقد إنطفأ كليا! صحيح ان ماركيز قد خرج من عالمه المسحور وكونية الانسان الذي يعالج مشكلاته بحميمية هي جزء اساس من أدبه الفذ،ومع ان حريته في الخروج عن مألوف رواياته، مسألة مشرعة امام الابداع، الا ان هذا الخروج،لابد أن يكون نابعا من حاجة،من ضرورة، يتطلبها المعمار الروائي، والمضمون الخاص، والعالم المكتشف.

لابد ان تكون هناك حاجة ماسة واساسية في التغيير.. ذلك ان التغيير ليس زيا محكوما بمتغيرات الفصول، بقدر ما هو تحول وتغير لمصالح العمل نفسه، حيث ان البقاء على ما اعتدنا على ما هو كائن الآن أو في المستقبل، مسألة فيها الكثير من التجني ليس على المبدع نفسه، وإنما على العمل ذاته.

اذا انتقال ماركيز الى مايسمى: الرواية/ الصحفية، انتقال غير مبرر واقل بكثير من الطموح والمكانة التي كنا قد وضعنا فيها ماركيز، وما قدمه في(خبر إختطاف) يمكن الاقدام على تنفيذه من قبل أي صحفي موهوب..وماركيز أكبر بكثير من كونه صحفيا موهوبا.

اننا وعلى مدى (٣٣٣) صفحة وبحروف صغيرة جدا، لم نحفل بماركيز الذي كان ينقلنا الى ذاكرة يقظة وحس انساني عميق.. فمثل ماركيز لايمكن ان ينظر الى المخطوفتين ويصف حالهما هكذا:(كانت قد مضت عشرة ايام على الاختطاف وقد بدات هي (مارخزنا) وبياتريت على السواء تعتادان على روتين بدا لهما في الليلة الاولى غير معقول ان الايام العشرة ليست ايام عادية وانما هي اوقات عصيبة، كل لحظة فيها تهدد المرء بالتهايات الفاجعة.. كما إن النظر الى الشخصيتين نظرة واحدة وانهما في حالة سوية، يتلقان حالة الاختطاف بمشاعر واحدة، مسألة غير مقنعة وتكاد ان تكون مستحيل.. وما جرى في الليلة الاولى لعملية الاختطاف وما رافقها من رعب وقلق، لايمكن ان ينسى بعجالة.. وليس من شيء يبعث على النسيان أبدا.

لكن ماركيز نقل صورة نقلها من خارج.. خارج لاتماس له به، لاتفاعل معه.. لانتباه للغلبان الذي يصاحب المرء وهو يتعرض للاختطاف.. انه محكوم بالموت والارهاب لأسباب لاعلاقة له بعواقبها.. ولا شان له بوجودها أصلاً.. وكل ما في الامر انه كان الضحية.. فهل تنسى الضحية بكل هذه السهولة التي يتحدث عنها ماركيز.. هل تستكين للجلاد بهذه السرعة، ولو جرى مثل هذا فعلاً، عندئذ ربد ان نعيد انفسنا في حالة تساؤل يقول: ماهي دوافع هذا التغيير، هذا الاستسلام..؟

فاي إحساس هذا..للقائم بعملية الاغتيال ولضحيته، وما الصورة الوحشية الغائبة عنا تماما، ولماذا فضل ماركيز ان يغيب صورتها عنا؟

إن الآتي مثير وباعث ترقب للجميع.. وحتى(الوساطة) لها حالاتها من القبول والرفض والتوتر.. ومثلها (الارادة الطيبة)التي لها دوافعها وأسبابها ودرجات العمل والتعلق بها..

ماركيز يبدو.. وكانه في حالة قطيعة كلية، بعد ان كل ماجرى ويجري انه في موقع الاعصاب الباردة، او في حالة السكون المختار والمهيمن على شخصية لا تريد ان نفكر او تتامل أو تنفعل..او ان تجعل من عينيها شاهد فجيعة، وشاهد حقيقة دامية.

في(خبر اختطاف) كان ماركيز على فراق تام،على قطيعة، على حدود فاصلة مع قرائه الذين غفتقدوا فيه العالم السحري لـ (مائة عام من العزلة) والعالم المدمر لـ (خريف البطرك) وألق الحياة في(حب في زمن الكوليرا).. وسواها.. حتى(الجوافة)القصيرة والحميمة والذات في صيرورة وجودها.. كانت الاكثر ألقا من هذا الخبر المطول والمهل والعابر.. الذي لايمكن ان يشكل اضافة الى تراث ماركيز الابداعي.

لقد كتب رواية(خبر إختطاف)عملاً صحفيا،زحفت عليه العبارة الواضحة حد التسطيح،وغاب عنه أبعاد الفعل البشري وهو في كلية الانسحاق والتدمير والقلق والعزلة والترقب.

ماركيز..أخذته الشهرة لكتابة(خبر) و(إختطفته) الشهرة كذلك ليكتب مادة صحفية لها بعدها الاحادي حسب!

×خبر إختطاف/غابرييل غارسيا ماركيز
ترجمة:صالح علماني/
دار المدى

في طريقه الى الاحتفال بعيد ميلاده الثمانين

http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

سيرة حياة الكولومبي الأكثر شهرة

لقد عاش غابرييل غارسيا ماركيز، أكثر من معظم الكتاب، حياة مليئة تمضي بعيداً إلى ما وراء آلته الكاتبة، أو كومبيوتره في وقتنا هذا، كما جاء في عرض جوناثان ياردلي لسيرة حياة الكاتب الكولومبي الشهير التي كتبها جيرالد مارتن. فهو لم يؤلف فقط أعظم روايات القرن العشرين الثلاث مئة عام من العزلة، خريف البطريارك، وحب في زمن الكوليرا - بل وكان مشاركا فعالا إلى درجة عالية في الأحداث العامة خلال زمن من التغير والنزاع الهائلين في أميركا اللاتينية. فكان صديقا لرؤساء دول (ودكتاتوريين)، ومدافعا أمامياً عن الاتجاه السياسي اليساري وصحافيا مؤثرا مقروءا على نطاق واسع. إضافة إلى أمور أخرى. وهذا، بالنسبة لكاتب السيرة الأدبية، خليط يبعث على النشوة. ولقد ظل جيرالد مارتن، وهو أكاديمي بريطاني متخصص في الأدب الأميركي اللاتيني، "يشتغل على سيرة الحياة هذه مدة سبعة عشر عاما"، مع قبول "ودي، ومضياف ومتسامح" من صاحبها، ولم يفوّت عموما معظم الفرص التي توفرها حياة غارسيا ماركيز. وهو يتنقل هنا وهناك حول نشاطات ماركيز السياسية، لكنه يعرض لنا بمهارة كيف أن فترة التمهّن الصحفي قد أدت إلى الانفجار الإبداعي العسير على التصديق الذي أنتج (مئة عام من العزلة).

تأليف: جيرالد مارتن
ترجمة: عادل صادق
الكتاب: "غابرييل غارسيا ماركيز: حياة"

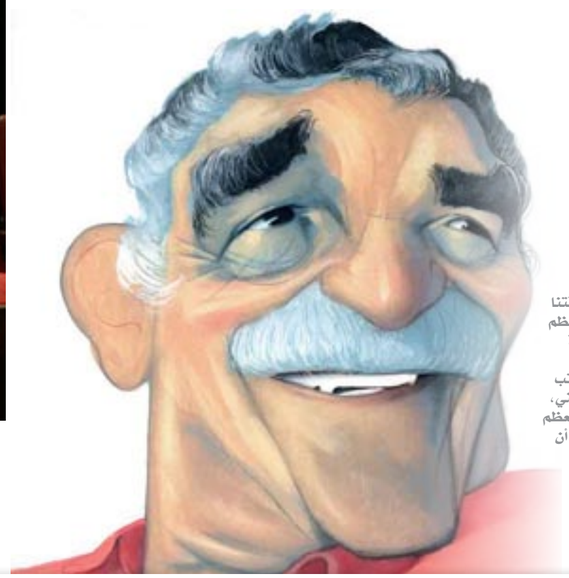

إن قصة سنوات ماركيز المبكرة ستكون مألوفة لدى كل مَن يعرف عمله: ميلاده في عام ١٩٢٧ وصباه في أراكاتاكا، وهي بلدة كولومبية صغيرة تحولت في النهاية قصصياً إلى ماكوندو؛ تأثير جده لأمه، الكولونيل نيكولاس ر. ماركيز، "الذي أنقذه تدريجياً من ذلك العالم النسوي الأميركي اللاتيني المشبع بالخرافة والهواجس، تلك القصص التي كانت تبدو وكأنها تنبع من ظلام الطبيعة نفسه، الذي أقرّه في عالم السياسة والتاريخ الرجالي جماعة برانكويلا" من الصحافيين الكولومبيين التي وجد ماركيز نفسه فيها خلال أوائل الخمسينيات، وأقام بعضاً من أهم صداقاته؛ الفقر الشديد في باريس في عام ١٩٥٧، حين "كنتُ جائعاً إلى حد أنني كنت أسترد ما أستطيع من نفاية صديق وأكله على الفور وفي المكان ذاته"؛ الزواج في عام ١٩٥٨ من مرسيدس بارشا، التي ستصبح امرأةً لا يستغني عنها بالنسبة لرجل كان يرى أنه معتمد على نفسه كلياً"؛ الحياة المحمومة لرواية (مئة عام من العزلة) في عام ١٩٦٥ و١٩٦٦ ونشرها الانتصاري في السنة التالية، محوّلة مؤلفها المفتقر وغير المعروف في الحال تقريباً إلى واحد من أشهر كتّاب الأدب الجاد في العالم. وكانت (مئة عام من العزلة) كتابه الرابع. ولم تكن الثلاثة الأولى - عاصفة الأوراق (١٩٥٥)، ليس للكولونيل مَن يكاتبه (١٩٦١)، في ساعة نحس (١٩٦٢) - قد اجتذبت إلا القليل من الانتباه خارج دائرته الأدبية المباشرة، ولم يُترجم أي كتاب منها إلى الانكليزية حتى نجاح (مئة عام من العزلة). وهذا أمر لا قيمة له، لأن قارئية readership غارسيا ماركيز والاستحسان النقدي له في الولايات المتحدة على مستوى عالٍ بشكل ثابت واستثنائي منذ عام ١٩٧٨، مع نشر ترجمة غريغوري رابابا اللامعة لهذه الرواية هنا. ومع أن غارسيا ماركيز كانت له نزاعاته مع حكومة الولايات المتحدة (التي رفضت لسنوات عدة منحه تأشيرة دخول)، فإنه ظل على الدوام سريعاً في إيضاح تقديمه لجماهير محبيه الأميركيين الواسعة. ولقد جعل نجاح (مائة عام من العزلة) من غارسيا ماركيز الصوت المهيمن في فترة الازدهار الأدبي الأميركي اللاتيني، الذي كان أعلامه الثلاثة الآخرون خوليو كورتاثار، كارلوس فوينتس، وماريو بارغاس يوسا. ومن المشهور أن هذا الأخير "أسقط غارسيا ماركيز أرضاً بضربة قوية في الوجه" في عرض أول لفيلم في مكسيكو سيتي عام ١٩٧٦، بسبب استخفاف حقيقي أو متخيَّل بزوجة الكاتب البيروي في ما يبدو. وظلت العلاقات بين الرجلين باردة لثلاثة عقود، بفعل ذلك إضافةً للخلافات السياسية بينهما، لكن في عام ٢٠٠٧ قام بارغاس يوسا، بموافقة من غارسيا ماركيز، بحركة تصالحية على شكل مقالة تثمينية في الذكرى الأربعين لصدور (مائة عام من العزلة). ولا يمكن أن يكون هناك مقياس دقيق لعظمة غارسيا ماركيز أكثر من أنه كان قادراً على أن يُتبع (مائة عام..)، بعد ثماني سنوات، بالتحفة ثانية" (خريف البطريارك). فهذا الكتاب، كما يوضح مارتن بحق، ليس كتاباً عن كولومبيا بل هو "كتاب أميركي لاتيني، مكتوب بتلك القارئية المرئية في الذهن، من دون بعد كولومبي مهم تقريباً، ليس في الأقل لأنّ كولومبيا لم يكن لديها أبداً ذلك النوع من البطريارك الذي يحيط "بانشغاله الأدبي بالسلطة أو القوة power"، وهو بإعطائه تعبيراً مطلقاً لذلك الانشغال، فإنه يحرره ليمضي قُدُماً، بعد عقد من الزمن، إلى (حب في زمن الكوليرا)، استكشافه الرائع لموضوعته العظيمة الأخرى، الحب، من خلال تغطية متخيَّلة لعلاقة المغازلة أو التودد بين أبيه وأمه. لقد نُشرت أعمال من الأدب القصصي أقل شأناً منذ رواية (مائة عام..)، لكن الروايات الثلاث الآنفة الذكر هي صرحه الأدبي، يتبعها بمستوىً أقل كتابه (عشت لأروي) ٢٠٠٤، مذكراته لسنواته المبكرة، الذي نشر حين كان في أواخر سبعينياته بعد حصار طويل من مرض جدّي. أما ما إذا كان هناك مجلد آخر من المذكرات سيظهر، فإنه أمر يبقى في علم الغيب، لكن غارسيا ماركيز قد ضمن له بأعماله الرائعة هذه مكاناً إلى جنب فوكنر على قمة الأدب العالمي للقرن العشرين.

عن/The Washington Post

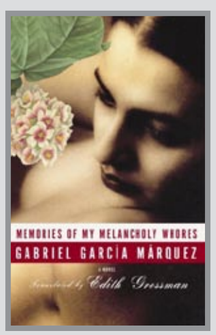

تاريخ الصحافة في سرديات ماركيز

عبدالكريم يحيى الزيباري

سُئل ماركيز: (ماذا كان هدفك لمّا جلستَ لتكتب "مائة عام من العزلة"؟
- أنْ أفتح مُخرَجاً أدبياً متكاملاً لكل التجارب التي قد تكون أثرتْ فيّ، بشكلٍ أو بآخر، خلال نشأتي/ رائحة الجوافة ص١٤٠. فإذا كانت الصحافة تجري في دمائه، فكيف لا يتأثر بها في سردياته؟ ألم يكن الأسلوب الصحافي حاضراً وبقوة في سرد ماركيز؟ في حفل تسليم جائزة الصحافة التي يرأسها ماركيز، في مدينة مونتيري المكسيكية ٢٠٠٨ .

وجوائز الصحافة هذه تمنحها مجموعة شركات سيميكس العملاقة، أعلن ماركيز أنه يعاني(مثل الكلب" من الكتابة الصحفية الرديئة، وذلك في مثل هذه الأوقات التي تخضع فيها الصحافة لسيطرة وهيمنة الشركات الكبرى، أو الحكومات الفاسدة. وتابع ماركيز حديثه الذي نشرته جريدة "البايس" الاسبانية قائلا: "الصحافة تجري في دمائي، فهي المهنة الأكثر روعة، أستيقظ كل يوم صباحا، وأقرأ الجرائد لأرى هل يقولون شيئا جيدا أم شيئا سيئا، الأمر كالمأساة، باستثناء بعض التحقيقات التي أجدها مثل الجواهر النادرة، يبدو أنه لا وقت لديهم، كعمل الماكيتات، وربما الصحافة التقليدية كانت أفضل لأنها كانت أكثر بطئا وتتيح للصحافي العمل بهدوء وإتقان). جريدة الرياض العدد ١٤٦٨٤ ٦ سبتمبر ٢٠٠٨.

(الصحافة أفادتني بوسائل لأعطي قصصي صحّة/ رائحة الجوافة- ص٦١). (يكفي أنْ نفتح الجرائد لنعرف أنّ الأشياء الخارقة تحدث بيننا كل يوم/ رائحة الجوافة- ص٦٩). لماذا يبدو الصحافيون/ الروائيون كأنهم مدمنون مغناطيسيا؟ هل بسبب تزلّف السياسيين، أم المموّلين للبرامج الاستعراضية والتجارية؟ كشفت جميع التقارير والتحقيقات أنّ النمو الاقتصادي والتطور الحضاري لا يتقدّم خطوة بدون صحافة حرة أو إعلام حر يمارس رقابة حقيقية على أجهزة الدولة، وبهذا الصدد يقول روبرت ديمون مدير معهد الصحافة في جامعة كاليفورنيا الأبناء هي الأساس الذي يبني عليه البشر آراءهم، والأعمالُ تَبَعٌ للآراء تأتمرُ بها، فالرأي العام هو خلاصة الآراء الفردية.. ويقول جوزيف بولتيزر الذي وُلدَ في المجر وأصبح رئيسا لتحرير جريدة نيويورك: إنّ الإنسان يولد أبله، وليسَ له أنْ يطمحَ إلى لقبِ آخر إلا إذا أعدّ نفسهُ له، لأنّ كل مهنة من المهن تحتاج إلى إعداد).

هل يكفي الإعداد المهني لتحويل صحَافي رديء إلى صحَافي جيد؟ هل من السهولة تحويل صحافي جيد إلى روائي جيد؟

كتب ماركيز "قصة موت معلن/١٩٨١" كقصة ثأر تناولتها الصحف، كتبها كما يكتب تحقيقاً صحفياً، أو استطلاعاً للآراء حول جريمة قتل سانتياغو نصّار من قبل التوأمين بيدرو وبابلو فيكاريو، هناك حادثة واحدة وهذه الحادثة هي نتيجة حادثة أخرى هي إعادة بيادو سان رومان لشقيقة التوأمين في ليلة عرسها لأنّها غير عذراء، والسارد هو شقيق مارغوت والرواة متعددون، كالصحافي وأراء التحقيق متعدّدة بكثرة، قد تلامس جميع أفراد القرية، تبدأ الرواية(في اليوم الذي كانوا سيقتلونه فيه...هذا ما قالته لي أمه بالذيذا لوثيرو وهي تستحضر بعد سبع وعشرين سنة تفاصيل أحداث يوم الاثنين المشؤوم- قصة موت معلن/ص٧)(قالت لي الطاهية فيكتوريا غوثمان- قصة موت معلن/ص١١) (صاحبة المحل الذي ينتظر فيه الرجلان اللذان ينتظران نصّار لقتله، كلوتيدي أرمينتا- قصة موت معلن/ص١٧)(الصبية الرائعة أنخيليا فيكاريو ابنة خالة السارد وزوجة بيادو غير العذراء- قصة موت معلن/ص٣٣)(خيمي شقيق السارد وله سبع سنوات لكنه له رواية أيضاً(وقد روى لي خيمي أنّها(والدة السارد/لويسا سانتياغو)كانت تحدث نفسها بصوت منخفض رجال أشرار حيوانات)(الكولونيل لاثاروا أبونتي قد استيقظ قبل الساعة الرابعة بقليل وكان قد انتهى من حلاقة ذقنه عندما أخبره الشرطي ليايندرو بورونغي بنوايا الأخوين فيكاريو. كان العمدة قد فضّ في الليلة السابقة خصومات كثيرة بين أصدقاء ولهذا لم يتعجل بالذهاب لفض نزاع جديد- قصة موت معلن/ص٥٥). وهكذا يسرد لنا الساحر ماركيز حادثة مقتل نصّار من رواة متعددين لهم رؤى مختلفة.

أمّا روايته "في ساعة نحس" فقد عاد ماركيز إلى تاريخ الصحافة التي بدأت بالمسلاّت التي كان لها تأثيرٌ كبير في حياة اليونانيين القدماء. تبدأ الرواية باستيقاظ الأب أنخيل(مكتئباً... ليدرك أنه لا يزال على قيد الحياة وليتذكّر اسم اليوم وما يقابله من أيّام في تقويم القديسين، راح يحدّثُ نفسه: اليوم الثلاثاء الرابع من أكتوبر، وبصوت منخفض قال: القديس فرانسيس الأسيزي، ارتدى ملابسه دون أن يغتسل و دون أن يرتل صلاته.. أصهب له القوام المسالم والمستأنس الذي يتمتع به ثور)ماركيز- في ساعة نحس- ترجمة كامل يوسف حسين- دار الشؤون الثقافية- ط٢- ١٩٨٦- بغداد- ص١٥. وإذا كان زمن بدء الرواية قد تحدّد بيوم ١٤ تشرين الاول ولمناسبة عيد القديس فرانسيس فإنّ نهايتها كانت(ارتدى ملابسه دون اغتسال أو صلاة.. لم يتحدثْ أحد عن نشرات الفضائح، في غمار صخب الأحداث الأخيرة...في الخامسة إلا عشر دقائق أدرك أنّهُ لا يزال حيّاً فاقتعدَ فراشه بجهد وقور وهو يفرك جفنيه بأصابعه ويحدّثُ نفسه: الأحد ٢١ أكتوبر ثمّ تذكّر القديس هيلاري/ ص٢٢٧)زمن الرواية: سبعة عشر يوم بين عيد القديس فرانسيس الأسيزي الإيطالي(١١٨٢- ١٢٢٦)وبين عيد القديس الفرنسي هيلاري(٤٠١-٤٤٩ م). نشرات الفضائح التي توقفت، كانت هي السبب(وفقاً لتقديرات السوري يبلغ عدد العائلات الراحلة مع هذا التطور خمس عائلات في أسبوع واحد/ ص٢١٢)وإذا كانت(أعظم فضيلة يتصّف بها الإنسان أن يعرف كيف يخفي الأسرار)فإنّ هذه الفضيلة لا تساوي شيئاً من بدون نشرات فضائح الفاسدين، التي سبقت(العدالة هذه الأيام لا تعتمد على الالتماسات وإنما على الطلقات/ص٢١٧). كأنّ جميع سرديات ماركيز هي محاولات فاشلة لكتابة "مائة عام من العزلة"(قال الأب أنجيل: إنّهُ الخوري الذي خلفني في ماكوندو، كان في المائة من عمره/في ساعة نحس ص٥٩). الطبيب والقس يقفان عاجزين أمام العمدة الذي يهددهما بالقتل إذا تقدما خطوة، بحجة فحص الجثة التي ينكر العمدة وجودها ويقول أنّ السجين قد هرب، والطبيب يريد كشف سر نوبات الإغماء التي تنتاب السجناء. هذه العاصفة نتيجة لنشرات الفضائح التي كانت تعلّق على أبواب أهل القرية، سيزار مونتيرو يقراً في نشرات الفضائح أنّ باستور على علاقة بزوجته، فيقتله، جرائم العمدة الغامضة والمقيّدة ضد مجهول، وسجونه التي لا يعود من يدخلها، والأب أنجيل القذر الذي يستيقظ من دون أن يغسل وجهه أو يتلو صلواته، يرفض أية موجة تغيير لشعوره بأنّها تهدد سلطته. من أينَ جاء ماركيز بفكرة نشرة الفضائح؟ (كتاب العزلة هو كتابي الوحيد..الشخصية الرئيسة في "الأوراق الساقطة"- أول عمل سردي لماركيز- هي رجل يعيش ويموت في عزلة مطلقة. العزلة موجودة أيضاً في شخصية "ليس لدى الكولونيل من يراسله" العقيد مع زوجته وديكه. وهي موجود أيضا في عمدة "في ساعة نحس" الذي لا يتمكّن من الحصول على ثقة البلدة ويحس عزلة السلطة بطريقة مختلفة/ رائحة الجوافة- ص١٠٦).

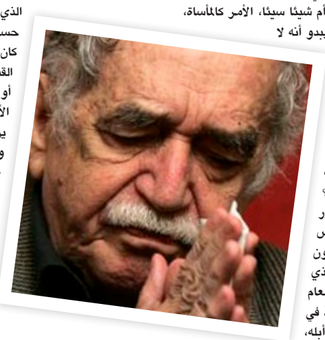

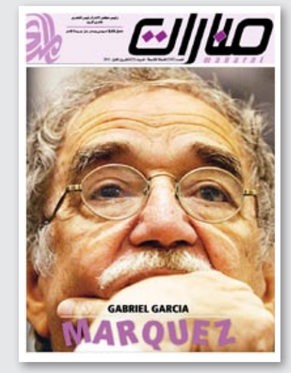

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
مصطفى التميمي

التصحيح اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة
للاعلام والثقافة والفنون

كيف يمكن كتابة رواية

علي حسين

اسمي ايها السادة هو غابريل غارسيا ماركيز، اسف فانا شخصيا لا يروقني هذا الاسم لانه سلسلة من كلمات عادية لم استطع قط ان اربطها بنفسي.ولدت في بلدة اراكاتاكا في كولومبيا...وما أزال غير اسف على ذلك.انني كاتب هياب. مهنتي الحقيقية مهنة ساحر، لكنني ارتبك ارتباكا شديدا وانا احاول القيام ببعض الحيل التي اضطر الى ان الوذ بها من جراء عزلة الادب.

على كل حال ان كلا النشاطين يقودان الى الشيء الوحيد الذي اثار اهتمامي منذ ان كنت طفلا: ان يحبني اصدقائي اكثر.. ان كوني كاتبا من الكتاب ليس سوى انجاز استثنائي لانني رديء جدا في الكتابة، وعلي ان اخضع نفسي لانضباط بشع كي انجز كتابة صفحة واحدة.. انني اناضل جسديا مع كل كلمة، لكن الكلمة هي التي تفوز في الغالب).

هكذا يتحدث المعلم غارسيا ماركيز الى قرائه في هذه السيرة التي يقول مؤلفها جيرالد مارتن إنه أنفق سبعة عشر عاماً في تاليفها، سبعة عشر عاماً أمضاها في قراءة أعمال ماركيز ومنجزاته الإبداعية في القصة القصيرة والرواية والمقالات الصحافية والنصوص السينمائية والسفر الى عدد كبير من بلدان العالم لمقابلة أصدقاء لماركيز من صحافيين وأدباء وروائيين وسياسيين وزعماء أحزاب ورؤساء دول، بهدف الإطلاع على تفاصيل علاقاتهم مع الروائي الكولومبي الذي عرفه قراء الأدب باعتباره واحدا من اكبر الذين أعادوا للرواية هيبتها وتألقها.

في السابعة والعشرين من عمره ساقته دروب الحياة الى عالم حافل بالخيال ليقدم اولى اعماله الروائية "عاصفة الأوراق" فيتلقى بسببها رسالة من دار النشر يخبرونه فيها، انه ليس لديه أي مستقبل في كتابة الرواية، مقترحين عليه أن يبحث عن مهنة أخرى.

المهنة الاخرى كانت الاصرار على الكتابة ليقدم في النهاية عالما،، هو مزيج من السيرة الذاتية والخيال الجامح، يتداخلان ويتشابكان في أبعاد مختلفة. وهو ما يتضح بكل روعة في "مائة عام من العزلة" و «الجنرال في متاهته» و «خريف البطريارك» و «الحب في زمن الكوليرا» و «قصة موت معلن».

بتواضع الكبار يكتب المعلم: "وجدت نفسي ما أزال في مكاني، حتى إنني لم أجد غرابة في اضطراري إلى عض لساني كي لا أسأل من ألتقي به: قل لي يا أخي: اللعنة، كيف يمكن كتابة رواية؟